

وليم شكسبير

جامعة الدول العربية

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

عطيل

ترجمة:

خليل مطران

الطبعة الثامنة



دار المعارف

obeikand.com

مقدمة

رغب إلى جورج أفندى أبيض صاحب الفرقة المعروفة الآن باسمه، في ترجمة هذه القصة، فترددت زمناً، ثم أتيحت لى أن رأيت يمثّل تجربة من "أديب" فأعجبني إتقانه وإتقان بعض أعوانه، واستخرت الله في نقل عطيل إلى لغتنا الشريفة.

فلأذكر أولاً ما دعاني إلى اختيار اسم عطيل ردّاً على بعض المعترضين.

كان عطيل في زعم القصاص الذي نقل عنه شكسبير أصل هذه الحكاية، يدويّاً مغربيّاً جلا إلى البندقية وخدم في جيشها حتى أصبح قائده الأكبر، وعقيده في الملمات. والمغاربة يومئذ خليط من العرب والبربر المستعربة. فأما أن يكون قد دعى منذ مولده باسم إفرنجى فغير محتمل، وأما أن يكون قد دعى باسم عربى حرفته العجمة، فهو الأصح عقلاً. فإذا رددنا أو نلّو إلى لسانه الأصلي، فالذى يستخرج من حروفه أحد اثنين: عطاء الله أو عطيل. فأما عطاء الله فلم أتوصل إلى تحقيق أن مغربيّاً واحداً سمى به ولهذا ضربت عنه صفحاً، وأما عطيل فقد اعتقد أنه الأخلق بالاختيار لسببين: أحدهما أنه أشبه بما جرت به عادة العرب على تسمية الزوج به من ألفاظ التحبب أمثال مسعود ومسرور وزيتون ومرجان للذكور، وخيزران وضياء للجواري، ومعلوم أن عطيلاً تصغير تحبب لصفة عطل بمعنى عاطل أو خلو من الحلية، فتسمية أحد الزوج به إنما هي محاكاة صحيحة لاصطلاح العرب. وثانيهما لأن "عطيل" بضم أوله ورفع آخره مع تخفيف التثوين أقرب إلى أوئلو من كل اسم سواه.

بقى في هذا الصدد أن أقول مروراً للذين تمنوا لو أبقيت اسم أوئلو كما أورد المؤلف، إننى لم أوافقهم على هذا لأننى كرهت أن أثبت في العربية اسماً من أسمائها على الرطانة التي حرفته إليها العجمة لغير ما سبب سوى الشهرة التي اكتسبها على تلك الصورة، في حين أنه لا يتعذر إكسابه مثلاً وهو مردود إلى أصله التقديرى أو التحقيقى من غير أن نسوم مسامعنا جراحة تحريفه. ذلك ما أوحى إلى اليقين أنه خير أولى.

بعد هذا التفسير الذى تقاضتني إياه بعض الصحف، ونفّر من الأصدقاء، أرجع إلى الرواية، ولى فيها مبحثان موجزان، من وجهة الأصل، ومن جهة التعريب.

أما من جهة الأصل فأقول إن واضح هذه القصة إنما هو نابغة الأدهار في فنه وأعنى به شكسبير. وضعها لإظهار الغيرة وتأثيرها في الرجل بأقوى وأصدق ما دل عليه الاختبار من أمرها، ولذلك اختار عاشقاً إفريقيّاً بدوى الفطرة، ليكون وثاب الشعور عفيفه، عسكرى المهنة، ليكون سريع التصديق والانخداع؛ مكتهاً أى في أول الانحدار من سن الأربعين، ليكون أشد في التعشق كما هي شيمة أمثاله ممن يسطو عليهم الحب بعد انقضاء الشباب، ويكون أيضاً في الحالة التي يتهم فيها

الإنسان نفسه بفقدان أكثر الحلال التي يقتضيها الغرام ولا سيما حينما يكون المستهام أسود البشرة من أحلاس الحروب، والمستهام بها ببيضاء منعمة من قوم فسدة الأخلاق مترفين.

ذلك هو الغرض الأساسى العام الذى رمى إليه شكسبير فأصاب به دقائق الحقائق إصابة كانت فى جملة ما حمل أكابر المفكرين وأعظم الكتبة على الشهادة له بأنه أخبر خبير بخفايا القلوب، وأمهر كشاف لخبائها.

ثم إنه أدار حول هذا المحور غرضين ثانيين: أحدهما إثبات أن العفة لا تنتفى من مدينة مهما فسقت بل قد تزداد تمكناً من نفس المرأة المتحصنة بمقدار ما تندر العفة بين جبرتها وفى عشيرتها، والثانى تبين الاحتياى ونهاية ما يبلغه من نفس رجل ذكى مطماع خسيس أصم الضمير، مستبيح كل محرم، مستهين كل منكر فى سبيل غايته.

كيف صرف شكسبير قريحته العجيبة فى ألوف الجزئيات التى تؤدى إلى تصوير الغرض الكلى والغرضين الملحقين به؟ ذلك ما يقف عليه القارئ أول وهلة من مطالعته للقصة فإنه يشعر قليلاً أن الأسماء تمحى ويستبدل بها أشخاص مقومون فى أصلح تقويم لكل منهم. ويدخل متدرجاً من الوهم فى الحقيقة فيرى وهو يسمع ويسمع وهو شاهد مشاهد مما ألفه فى الحياة لا يرده إلى كونه قارئاً سوى انتهائه إلى دفة الكتاب.

ومن جهة هذا التصوير الأخاذ الذى يصور به شكسبير الحقيقة رأى بعض جهابذة النقاد أن ذلك الأستاذ العظيم يبالغ فيه مبالغة قد يجاوز معها الحدود التى يرسمها الفن. صدقوا ولكن هل كانت عبقرية هذا الرجل لتحدد بحدود، وهل مثل العقل الذى رزقه كان مما يقيد بقيود؟

الشاعر الذى افتتن "فكتور هوجو" بغرابة شعره، ووجد عند فراسته وطلاقته وقوة تمثيله للمعنويات بالحسيات. مبدأ المذهب الحر الذى ذهب إليه فيما بعد هو وأضرابه وأصبح سنة الكتاب فى العالمين.

الكاتب المنقّب المتعمق فى مظاهر الخلائق ومضمراتها مع قدرة على المحاكاة ومهارة فى الاختيار وبراعة فى التأليف وسلطة على اللفظ يستندى به أبعد المعانى ويقيد أوايد الوجدانات، الذى أعجب به المؤرخ الفيلسوف "تاين" وناهيك بألوف المعجبين غيره من قبله ومن بعده.

الأديب الذى تترجم مكتباته على وفرتها إلى كل لغات الدنيا، وفى بعض اللغات كالفرنسوية تكثر تلك الترجمات وتنوع ويجيز أحاسنها المجمع الأدبى الأكبر كما أجزت ترجمة "مونتيجو" و "ليتونرور" وغيرهما فتطلع الأمم المختلفة الألسنة والأجناس والأنواق والملل والنحل على مكتباته سواء فى أصلها أو فى غير أصلها، وتقرأ فى أعلى منزلة عندها لجمعها المذهب والمطرب إلى المفكه والمفيد والمبكى والمضحك إلى الزاجر والمؤنس.

أهذا الذى يطلب منه أن يكون أسير اصطلاح وعبد لفظ ورقيق أوضاع سبق الاتفاق عليها.

خرج شكسبير عن ذلك الطوق ونعمًا فعل. ولو أبقاه فى عنقه لما اشرأب سعدًا إلى مناجاة
أجرام السماء، ولا أطاق الإكباب إلى أبعد أغوار الأسرار فى الطبائع البشرية.
من ذلك المنجم العظيم نجمت "عطيل" وهى إحدى آيات مستخرجاته، ولما كانت أعده فيها
من نادر المزايا وجدت من كلفى بها معاونًا على معاناة تعريبها.

فأما من جهة التعريب فأقول إن فى نفس شكسبير شيئًا عربيًا بلا منازعة وهو أبين فيها مما
بان فى نفس فكتور هوجو. أقرأ لغتنا أم نقلت إليه عنها بعض المترجمات الصحيحة؟ لا أعلم. ولكن
بينه وبيننا من وجوه متعددة مشاكله محيرة، فإن عنده مثل ما عندنا جرأة على الاستعارة وذهابًا
بضروبها فى كل مذهب، وله مثل ما لنا كلف بالتثقل الوثبى من غير تمهيد ولا استئذان يدفعك من
القصد إلى القصد وشيكًا وعليك أن تتمهل فى فكرك وتجد الرابطة، وبه مثل ما بنا من الهيام فى
المبالغة التى لا يقبلها من الكاتبيين ولا يعقلها من القارئ إلا الذين فى تصورهم حدة وجماح كما يكون
عادة عن الشرقيين وخصوصًا عند العرب. وعلى الجملة فى كل ما يكتبه شكسبير شىء من روح
البداوة قوامه الرجوع الدائم إلى الفطرة الحرة.

تناولت الرواية لأعربها وكأننى أنوى ردها إلى أصلها كما رددت اسم عطيل، وقبل أن أشرع
فيها تفكرت فى الأسلوب الذى أختاره لها.

أهو ذلك الأسلوب المخرق الذى تشف الفصاحة فيه عن رقع العامية؟ لا وألفًا لا.

فتالله لو ملكت تلك العامية لقتلتها بلا أسف ولم أكن بقتلى إياها إلا منتقمًا لمجد فوق كل
مجد، نزلت من هيكله الذهبى الخالص الرنان منزلة الرجلين الخزيفتين القذرتين فهو فوقهما متداع وبهما
مشوه؛ منتقمًا لأمة كسرت العامية وحدتها وكانت عليها أكبر معوان للتصاريف التى مزقتها فى الشرق
والغرب كل ممزق؛ منتقمًا للفصاحة نفسها وأية فصاحة فى خُشارة لا تصيب فيها تبر الأصل إلا وقد
تلوث بذبذبات لا تحصى من أضرار الرطانات بأنواعها.

بعدًا لهذا الأسلوب إذن! ولنختر غيره... أنتوثر الأسلوب الجزل المتين القديم؟

لا ولا! لأن الروايات إنما تكتب ليفهمها القوم ويستفيدوا منها مغزى بجانب التفكهة. أفنعكس
عليهم تلك السنة الشريفة التى سنها النبى القرشى بقوله: أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم.

بعد هذا وذلك لم يبق إلا أسلوب الوسط وهو الذى تكون بمقتضاه الألفاظ كلها فصيحة لكن
سهلة، وتفكك الجمل تفكيكًا يقرب مدلولاتها من الأفهام بمحاكاته لفنون المحادثات المستجدة من غير
أن يفوتنا الالتفات فى ذلك التفكيك إلى أشتات ما صنع أدباء العرب من مثله لدواعى حال مخصوصة
وإن لم يألّفه جمهور الكتاب الاحتفاليين.

هذا هو الأسلوب الذى آثرته وأرجو أن أكون قد وفقت فيه بعض التوفيق، فتجتمع معه لهذه القصة مزيتان: إحداهما أنها تكون عربية فصيحة لولا الأعلام ولولا تشقيق الكلم على ترتيب المخاطبة بين الفرنجة قديماً وحديثاً، والثانية أنها تمثل أقوال شكسبير حرفاً بحرف ولفظة بلفظة مع مراعاة انطباق كل منها على الاصطلاح الدينى أو الاجتماعى الذى لها عند القوم الممثلين فيصح أن تكون هذه التجربة مثلاً للتعريب يحثنيـه طلبة المدارس.

خليل مطران

أشخاص الرواية

دوج البندقية	:	
برانسو	:	أحد أعيان
	:	أعيان آخرون
غراتيانو	:	أخو برانسو
عطيل	:	مغربي شريف قائد جيوش في خدمة البندقية
كاسيو	:	ملازمه
ياجو	:	حامل علمه
رديجو	:	وجيه بندقى
منتانو	:	سالف عطيل في ولاية قبرس
		مضحك وخادم لعطيل
		مناد
ديمونه	:	بنت برانسو قرنية عطيل
إميليا	:	زوجة ياجو
بينكا	:	خليلة كاسيو
		ضابط ووجهاء ورسل وموسيقيون وملاحون وخدم إلخ
		المشهد الأول يجرى في البندقية وسائر المشاهد في مرفأ من مرفأ قبرس

الفصل الأول

المشهد الأول

فى البندقية - طريق

[يدخل رديجو وياجو]

- رديجو : كفى كفى. لا تخاطبنى عنه بعد الآن. أنا آسف جدًا لأنك تتسمت خير هذه المسألة يا ياجو.. وأنت أنت الذى بددت ما شئت من مالى وصرفت يدىك فى نقودى كأنها من حر مالك.
- ياجو : العجب أنك لا تريد أن تصغى إلى كلامى ولعمري ولو أننى فكرت مرة فى خديعتك لكان لك أن تمقتى كل المقت.
- رديجو : قلت لى إن حانق على هذا الرجل.
- ياجو : إذا لم يكن ذلك حقًا فلا كانت لى كرامة عندك. ثلاثة من كبراء المدينة سعوا وتوسلوا إليه ليجعلنى ملازمًا له. وبحق الرجولة أننى لأعرف قيمة نفسى وأعرف أننى كفاء لتلك المنزلة. أما هو فإن لم يصغ إلا إلى مشورة كبريائه وإيعاز ما سبق إلى وهمه فتخلص من إجابة سؤلى بعبارات منفوخة مشحونة بالألفاظ الحربية ختمها بقوله للموصين بى: "لقد اخترت ملازمى". ومن هو ذلك الضابط؟ الله الله... هو حساب ماهر... يدعى ميشيل كاسيو... رجل فيورنتى.. فتى ذهبت بلبه النساء الحسان ولم يسير قط كتيبه فى معترك ولا يعرف من تدبير واقعة أكثر مما تعرف الفتاة العانس (١) اللهم إلا من جهة العلم النظرى المستظهر من الكتب وهو علم يحسنه القساوسة كإحسانه إياه فجعله معرفته العسكرية ثروة محض بلا عمل. ذلك يا سيدى هو الذى وقع عليه اختيار القائد بصرف النظر عما أبلبته أنا من البلاء الحسن فى رودس وفى قبرس وفى أمصار أخرى مسيحية ووثنية.. يسومنى (٢) قبيح الصبر على هذا التأخير ويقدم على من فوق رأسى ذلك المدون الرقام الكاتب الصيرفى يتخذ ملازمًا له وأنا - حمدًا لله

(١) التى كبرت ولم تتزوج.

(٢) يكلفنى

وسرورًا بهذا اللقب - أبقى حامل علم لسيادته المغربية.

ردريجو

: تالله لو كنت مكانك لأصبحت جلادة

ياجو

: داء لا دواء له وهو من آفات الخدمة. الرقى ينال بالوصاة والصدافة لا

بالسبق الزمنى الذى كان ينبغى بمقتضاه أن يجعل كل ثان خلفًا لأول..

بعد هذا يا سيدى أعمل رأيك فيما إذا كان يسعنى أن أحب ذلك المغربى.

ردريجو

: لو نالنى منه ما نالك لما تتبعته

ياجو

: حلمًا يا سيدى وهدوء بال. إنما أتبعه لأنتقم منه.

لا نستطيع جميعنا أن نكون سادة ولا طاقة لجميع السادة أن يجدوا خدمًا

أمناء.. إنك لتلقى ^(١) بين أولئك الخدم غير واحد من البله الخانعين ذوى

الركب اللينة يعجبهم رقهم الثقيل فسيفنون أعمارهم على شاكلة الحمير التى

ترهق ^(٢) بالأحمال حتى إذا بلغوا من السن عتيًا طردوا بضرب السياط

طرد المجرمين. غير أنه يوجد أيضًا بين الخدم أناس غير أولئك يظهرون

بكل مظاهر الطاعة ويستعبرون كل أشكال الرعاية لكنهم يصونون

ضمايرهم لخدمة أنفسهم، ومع ما يبذونه من الامتثال لولاتهم يوجهون

مساعينهم لقضاء مآربهم حتى إذا وشوا ملابسهم بالذهب حبسوا تكرماتهم

على ما اكتسبوه من رفعة القدر. أمثال هؤلاء لهم بعض النفوس وأجهر

أننى واحد منهم. بل أزيدك يا سيدى تصريحًا عن حقيقة لا تقل عن حقيقة

كونك ردريجو وهى أننى لو كنت المغربى ما أردت أن أكون ياجو فإذا

اتبعته فإنما إياى أتبع وبشهادة الله أننى لا أوقره ولا أطيعه غير أننى أداجيه

بالتوقير والطاعة توسلاً بهما إلى أغراضى، هذه خطتى وهى الكتمان؛ فإذا

جاء زمان باح فيه ظاهرى للرجل ببعض ما فى باطنى لم ألبث أن أضع

قلبى على ردن قميصى لتتقره الحداث ^(٣) الخواطف. أنا غير ما يرى منى

ردريجو

: إننى لأستعظم على ذلك الأسود الوبرى ما يقع إليه من السعد الذى لا

يدانيه سعد فيما لو حصل على تلك الغانية أو حظى بقربها.

ياجو

: ناد أباهما.. أيقظه من نومه.. ناوى ذلك المغربى.. دس السم فى هناعته..

اجهر باسمه فى الأسواق.. استشط على الفتاة أهلها.. ثم أيا كان المرتع

(١) تجد.

(٢) تحمل فوق طاقتها.

(٣) الطيور المعرفة عند العامة بالحدايات.

الخصيب الذى يحله ذلك الرجل فاقتله بذبابة ومهما تكن سعادته هى
السعادة بحقيقتها فأدركه بالوخز والمضايقة حتى يمتقع ^(١) فى عينيه لونها
الزاهى ولو قليلاً.

- رديجو : هذا بيت أبيها. سأناديه صادعاً ^(٢)
- ياجو : افعل واجعل نداءك رهيئاً مستطيلاً مع حزن كما يكون فى ظلام الليل
وأمن الراقين صوت الذى يستكشف النار فى مدينة كثيرة الأهلين.
- رديجو : يا هو. يا من هنا. براينسيو. سنيور براينسيو.
- ياجو : استيقظ. يا هو. براينسيو. اللصوص اللصوص. ارقب بيتك. بيتك.
أكياسك. اللصوص اللصوص .
- برانسيو : ما الموجب لمناداتى لهذا الصخب المرعب؟ ما الخبر؟
- رديجو : هل كل أهل بيتك فى البيت يا سيدى؟
- ياجو : هل أبوابك مقفلة بإحكام؟
- برانسيو : لم هذا السؤال؟
- ياجو : السؤال يا سيدى لأنك سرقت. سرق منك شرفك البس رداك. إن قلبك قد
كسر وإن شرطة روحك قد فقدت. أنا أكلمك وفى هذه الساعة بل فى هذه
الدقيقة فحل عجوز أسود يغشى نعجتك البيضاء. انهض. انهض. أيقظ
على قرع الجرس أهل المدينة النائمين وإلا استولدك الشيطان حفيداً.
انهض انهض. إنى حذرتك..
- برانسيو : ما هذا الهديان؟ أمجانين أنتم؟
- رديجو : يا سيدى الجليل أتعرف صوتى؟
- برانسيو : لا.. من أنت؟
- رديجو : أنا رديجو..
- برانسيو : لا أهلاً ولا مرحباً لقد طالما حذرتك من ارتياد أبوابى وأبلغتك بصراحة أن
ابنتى ليست لك والآن بعد أن ملأت جوفك وأفرغت فيه ما لا يسع من
الكؤوس حتى أصابك المس ^(٣) جئت بهذه المكيدة السيئة توقظنى من
نومى مرتعداً.

(١) يتغير إلى اصفرار

(٢) بصوت عال.

(٣) ضرب من الجنون.

- رديجو : مولاي. مولاي. مولاي.
- برانسو : لكن ثق أن في خلقى وفي مجدى ما يمكننى منك فتتدم.
- رديجو : تلطف يا سيدى الرحيم.
- برانسو : ما تلك السرقة التى تذكرها لى. نحن فى البندقية ومنزلى ليس بعض الأهرء فى الخلاء.
- رديجو : يا عظيم الوقار برانسو لقد جئت بك بقلب صاف. وضمير لا كيد فيه
- ياجو : أنت يا سيدى من الذين لا يخدمون الله لو نهاهم الشيطان عن خدمته.
- ألأنا جئنا نسدى إليك معروفاً وأنت ظننتنا أهل بغى تدع ابنتك يغشاها جواد من البربر؟ لتلدن لك حفءاء يصهلون فى وجهك وليكونن لك أبناء عم من الخيل وأقرباء من المهازى.
- برانسو : أنت من أيها الدعى الضحكة؟
- ياجو : أنا يا سيدى رجل جاء ليقول لك إن ابنتك والمغربى الآن متكونان فى شكل حيوان ذى ظهري.
- برانسو : أنت سافل.
- ياجو : وأنت... عضو فى مجلس الأعيان.
- برانسو : سيكون لك معى شأن. عرفتك يا رديجو
- رديجو : الشأن الذى تريده يا سيدى. لكن أبتهل إليك أن تتبئنى: أبعشيئتكم وبمقتضى حكمتكم كما يكاد يثبت ذلك. خرجت كريمتك الجميلة فى هذا الهزيع الآخر من الليل إذ الناس نيام وإذ لا يزيد حارسها ولا ينقص عن أحد الفقراء الذين يخدمون الجمهور من ملاحه الزوارق لتستسلم بين ذراعى مغربى كثيف؟ فإن كان ذلك بعلم منك وسماح فقد أسأنا إليك وجرونا عليك وإلا فكأننى بك تهيننا ولا ذنب لنا. ولا تظن أننى تتاسيت مقتضيات الكرامة إلى حد أن أستزلك من مقامك العالى لمثل هذه الممازحة بل أعيد عليك أن أبنتك - إذا كنت لم تأذنها - قد ارتكبت خطأ جسيماً بمنحها يدها وجمالها وعقلها وثروتها لأجنبى شريد بدون موطنه هذا البلد وله من كل أفق سواه مواطن. بادر لتبين الهدى.
- فإذا كانت ابنتك فى غرفتها أو فى البيت فادفعنى إلى عدل القضاء ليعاقبنى على خدعتى إياك كما فعلت.
- برانسو : اقدحوا الأزنده.. يا رجالى.. هاتوا لى مشعلاً.. استيقظوا يا أتباعى..
- استيقظوا كلكم. هذا الحادث لا يختلف كثيراً عما رأيته فى حلمى.. يا

ياجو

لمخوفى مما سألاقيه.. أنيروا يا رجالى أنيروا.. (ينصرف عن النافذة)
: أستودعك الله لأنه ليس من العقل ولا من المصلحة أن أبقي هنا فأأخذ
شاهدًا على المغربى الذى بيده منصبى خصوصًا مع علمى أن الحكومة
مهما يسوؤها منه هذا الخطأ فلا تستغنى بلا خطر على البلاد عن خدمة
هذا الرجل ولهذا عقدت له لواء الحرب الناشبة الآن فى قبرس ولو بحثت
عن غيره ما وجدت لها خيرًا منه فضرورات معيشتى قاضية على مع
كرهى إياه أكثر من كرهى لعذاب السعير أن أظهر له الولاء. على أنها
علائم لا شىء فيها غير الظاهر.. فإذا أردت أن تجد الرجل فوجه إلى
المعقل الذى فيه الضباط من استيقظ من القوم للبحث عنه وسأكون هناك
بجانبه.. إلى الملتقى

برابنسيو

(يدخل برابنسيو وخدم معهم مشاعل)
: صدقتى النبأ وإن الخطب لجلل فلم يبق لى إلا تجرع الصاب بعد الهوان
فى القليل الباقى من أيامى. قل لى يا رديجو أين رأيتها؟ ويلها من فتاة
شقية! أتع المغربى؟ من يجرو بعد هذا أن يكون والدا؟ كيف علمت أنها
هى؟ وا حر قلباه! خدعتنى من وراء التصور..
ماذا قالت لك؟ هاتوا مشاعل آخر. أيقظوا كل أقاربى...
هل تزوجا؟ أتظن أنهما تزوجا؟

رديجو

: ذلك ما أظنه.

برابنسيو

: يا للعجب! كيف خرجت؟ يا لخيانة الدم! أيها الآباء لا تأمنوا بعد الآن
نفوس بناتكم على ما يبدى من الطهارة. ألا توجد ضروب من السحر
تعش بها الشبية وتستدرج العفة؟ ألم تقرأ شيئًا فى هذا المعنى يا رديجو؟

رديجو

: بلى يا سيدى؟

برابنسيو

: أيقظوا أختى. لماذا لم أرض بك قريبًا لها. اذهبوا بعضكم من جهة وبعضكم
من جهة أخرى، أتعرف أين نستطيع أن نظفر بهما؟

رديجو

: أظن أننى أكتشفهما إذا صحبتى ومعك حرس أمناء.

برابنسيو

: أرشدنى أرشدك الله. سأدعوا الناس من كل منزل وأمرى مطاع عند
الأكثرين. تقلدوا أسلحتكم. أيقظوا بعض الضباط المنوط بهم السهر. هلم
بنا يا رديجو وسأعرف لك هذه المنة.

المشهد الثانى

فى البندقية - طريق أخرى

[يدخل عطيل وياجو وخدم بمشاعل]

ياجو : لقد تعودت القتل فى الحروب ولكننى ما زلت أخشى تحميل ضميرى
إزهاق روح عن عمد وتعوزنى فى بعض الأحيان مثل هذه الاستباحة
لخدمة نفسى على أننى عذمت تسع مرار أو عشر مرار على إيلاج^(١)
نصلتى فى ذلك الشيخ هنا تحت الأضلاع ولكن ...

عطيل

: كان خيرًا أن تجرى الأمور كما هى الآن.

ياجو : والخير ما جرى. غير أن الرجل ثرثر ما شاء وطعن طعنًا مستفزًا فى حق
عليائكم بحيث إننى على قلة تقواى لم أكد أطيق الصبر على ما يقول...
لكن ألا يتفضل مولاي ويخبرنى هل تم القران؟ إن ذلك الشيخ الذى لقبه
الشعب بالكريم محبوب حبًا جمًا وله فى المجلس صوت أقوى مرتين من
صوت الدوج ففى وسعه أن يضطرك على الطلاق أو أن يحول دون
مرامك بكل المكاييد والمشاكسات التى يستمد أسبابها من القانون بما له من
المقدرة والبأس.

عطيل

: ليفعل ما يشاؤه حقّه. إن جلائل الخدم التى خدمت بها هذه البلاد لأبلغ
فى الشفاعة لى من شكاياته فى الإضرار بى... وسيعلم القوم منى - عند
ما يبيح الشرف الافتخار - أننى سليل بيت من البيوت المالكة وأن أعمالى
تقف موقفها العالى بجانب أعتى المناصب التى يبلغها بالتوفيق أمثالى.
واعلم يا ياجو أننى لولا شغفى بديمونه التى سحرت لى لما رضيت بكنوز
البحار بدلاً من حريتى وبدائتى اللتين لا يحد هما حد ثابت ولا تحصر
هما دائرة ضائقة... انظر انظر... ما تلك الأنوار القادمة نحونا من هناك؟
هذا والدها استيقظ وجاء مع أقاربه. أولى أن تدخل.

ياجو

: كلا يجب أن ترونى بحقيقتى كما تظهرها لهم أخلاقى وألقابى وطهارة
نمتى. أتظنهم إياهم؟

عطيل

: يبين لى أن القوم غيرهم.

ياجو

(يدخل كاسيو وبعض ضباط بمشاعل)

- عطيل : خدم الدوج... وملازمى... طاب ليلكم يا أصدقائى جميعاً. ما وراءكم؟
- كاسيو : الدوج يهدى إليك تحياته ويرغب فى حضورك حالاً وألا تبطئ عنه دقيقة واحدة.
- عطيل : فى أى شأن تظن؟
- كاسيو : إن صدق ظنى فهو شأن ، مخصوص بقبرس ويظهر أنه عاجل لأن السفائن أرسلت فى هذا الليل اثنى عشر رائداً متتابعين، وكثير من المستشارين أوقفوا وهم الآن مجتمعون فى حضرة الدوج وقد التمسوك فى منزلك بالبحاح فلما لم يجدوك بعثوا ثلاثة أرهط (١) من الجند للبحث عنك.
- عطيل : من التوفيق أن تكون أنت الذى لقيتني سأدخل هذا البيت مهملة كلمة تقال ثم أصحبكم. (يخرج)
- كاسيو : حامل العلم ما يفعل القائد هنا؟
- ياجو : كأننى به غنم فى هذه الليلة سفينة من السفن الكبرى مشحونة بالخيرات فإذا أُقِرَّتْ له فقد أصاب الثروة الخالدة.
- كاسيو : لم أفهم ما تعنى.
- ياجو : تتزوج.
- كاسيو : ممن؟
- ياجو : تتزوج من.. (يدخل عطيل) هيا بنا أيها القائد.. أنمضى؟
- عطيل : نمضى ولا عائق.
- كاسيو : أرى جماعة أخرى قادمة فى طلبك.
- ياجو : هذا براينسيو. حذار أيها القائد. إنه لينوى شراً.
- (يدخل براينسيو رديجو وضباط بمشاعل وأسلحة)
- عطيل : قفوا هنا.
- رديجو : هذا هو المغربى يا سيدى.
- برائيسيو : أوقعوا به. هذا اللص.
- ياجو : على بك يا رديجو. فرنك (٢) أنا سيدى.
- عطيل : أغمدوا سيوفكم اللامعة لأن الندى ينزل عليها الصدا... يا سيدى الجليل إن شيخوختك لأصلح للأمر من سلاحك.

(١) جماعات.

(٢) خصم وقريعك.

برابنسيو

: أنت أيها السارق الخسيس؟ أين أودعت ابنتي. سحرتها يا رجل النار وأستشهد على جنايتك بأولى الألباب. أكانت لولا السحر فتاة بتلك الرقة وذلك الجمال... فتاة ناعمة كل النعيم.. أنفة من الزواج إلى حد أنها لم ترض بواحد من أغنى وأجمل شبان أمتنا بعلاً لها.. تتعرض للسخرية العامة بخروجها عن وصاية أبيها والتجائها إلى صدر أسود دهني كصدرك الذي يدعو إلى الخوف لا إلى السرور؟ ليحكم الناس بيننا. أليس واضحاً وضوح البداة أنك رقيتها برقي سيئة وأنك خدعت طفولتها بعفاقير أو معادن تهيج الشهوة البدنية؟ سأضع هذه المسألة تحت البحث لأنها معقولة بل يلمسها الفكر لمساً. فأنا قابض عليك إذن ومتهمك بإفساد أخلاق العذارى وباستعمال صنائع محرمة وغير مباحة قانونياً. خذوا بتلابيبه.. وإذا قاومكم فأخضعوه وعليه نتائج ما يصيبه.

عطيل

: أثنوا أيديكم. لو رضيت القتال ما احتجت إلى داع يدعوني إليه. إلى أين تريد أن أذهب للإجابة عما تتهمني به؟

برابنسيو

: إلى السجن حتى ينقضي الزمن الذي عينه القانون وسير القضاء فتسأل.

عطيل

: إذا أطعتك فيما تريد فكيف أستطيع تلبية طلب الدوج وهذه رسله بجانبى جاءت تدعوني إليه لأمر ذى بال فى الحكومة.

ضابط أول

: هذا حق أيها السيد الجليل. إن الدوج فى مفاوضة وأنا واثق من أنه بعث فى استدعاء ذائك الشريف.

برابنسيو

: أية مفاوضة يعقدها الدوج فى هذه الساعة من الليل - سوقوه. إن مسألتى ليست من المسائل التافهة - سيعلمها الدوج نفسه وسائر إخوانى من أركان الدولة ويشاطروننى غمى مما لحق بى من الإهانة كأنه لحق بهم أنفسهم وإلا فإنه لو أبيع ارتكاب أمثال هذه الجرائم لأصبح الأرقاء والوثنيون أولياء الأمر فينا.

المشهد الثالث

فى البندقية - ردهة المجلس

[الدوج جالساً إلى مائدة يحيط بها فريق

من الأعيان وضباط يقومون بخدمتهم]

- الدوج : ليس بين هذه الأنباء من التشابه ما يجيز تصديقها.
- العين الأول : الأنباء مختلفة جداً فى الحق وقد ورد الكتب المرسله إلى أن سفنهم المحاربة سبعمائه.
- الدوج : وفى الكتب التى تلقيتها أن عدد السفن مائة وأربعون.
- العين الثانى : ويستفاد من أخبارى أن السفن مائتان. غير أن الاختلاف هو فى الرقم - وفى مثل هذه الحالة ترسل الأنباء تقديرًا وتخمينًا وتكثر التباينات - أما الحقيقة الثابتة بعد ذلك من جميع المراسلات فهى أن هناك أسطولاً للعدو متجهًا بأشرعته نحو قبرس.
- الدوج : نعم هذا ما يقوله العقل ولكل هذه الاختلافات فى العدد تحدث عندى قلقًا ورينًا.
- ملاح من الخارج : ياهو. ياهو. يا من هنا.
- أحد الضباط : رسول من السفن
- (يدخل الملاح)
- الدوج : ما هنالك؟
- الملاح : أسطول العدو ينتحى رودس وهذا بلاغ من قبل السنيور أنجلو.
- الدوج : ما قولكم فى هذا الانقلاب؟
- العين الأول : لا يعقل لأدنى تصور. إن هى إلا محاولة ومغالطة إذ لو تبصرنا فيما لقبرس من الشأن الخاص عند العدو لأدركنا من فورنا أنه إنما يقصدها دون رودس لأنها أصلح وأسهل مأخذًا وليس فيها من وسائل الدفاع والميرة ما فى رودس وعلى هذا لا يقذف فى روعنا ^(١) أنهم يخطئون ذلك الخطأ بتركهم قبرس وراءهم على كونها تهمهم أولاً وأنها لهم أفيد وإلى متناولهم

أقرب ويندفعون إلى جزيرة أخرى ينبهون عليهم منها الخطر ولا يحلون^(١)
بطائل.

الدوج : يقينًا لا يعقل أن تكون تلك السفن مرسلّة على رودس.

(يدخل رسول)

الضابط الأول : هذه أخبار آخر

الرسول : أيها السادة الأجلاء الكرام إن الأعداء واتجهوا إلى رودس وعزّزوا أسطولهم
بأسطول مساعد.

العين الثاني : هذا ما كنت أقدّره - كم تظن تعداد ذلك الأسطول المساعد؟

الرسول : يبلغ ثلاثين شراعًا ضمّوها إليهم والآن هم عائدون ظاهرًا نحو قبرس. وهذا
بلاغ من السنيور منتانو خادمكم الباسل الأمين الذي يرفع إليكم تجلاته
ويرجو أن تصدقوا بلاغه.

الدوج : تحقق إذن أن مقصدهم قبرس أليس فيها الآن مركولكسيكو؟

العين الأول : هو الآن في فيورنته.

الدوج : اكتبوا إليه من قبلنا وأرسلوا الأمر من الفور بريدًا بريد.

العين الثاني : هذان برانيسيو والمغربي الشجاع.

(يدخل برانيسيو وعطيل وياجو وردريجو وضباط)

الدوج : يجب علينا يا عطيل الباسل أن نستعين بك عاجلاً على عدو الوطن (إلى

برانيسيو) لم أرك قبلاً أيها السيد الشريف تحية وتكريماً. كنا في حاجة إلى
مشورتك وإمدادك في هذه الليلة.

برانيسيو : وأنا في حاجة إلى مشورتكم وإمدادكم أيضاً. أستمح من فضل سموكم

حلمًا. إن الذي انتبذ بي من مرقدي لم يكن داعي منصبى ولا نبأ جاءنى
عما نحن فيه. وليس هم المصلحة العامة همى الآن بل بي حزن خاص
من تلك الأحزان المجتاحة المتغلبة التى هى أشبه بالفيضان الجارف لكل
ما تمر به. ذلك الحزن قد طغى على سائر شواغلى واستغرقها وبقي
وحدها مائلًا نفسى.

الدوج : ما ذلك الخطب؟

برانيسيو : بنيتى بنيتى!

الدوج والأعيان : أمأتت؟

(١) لا يستفيدون منها شيئًا يذكر.

راينسيو : ماتت عنى. خدعت. سرقت منى. أفسدت برقى وعقاقير مشتراة من بعض الدجالين. وهل تستطيع الفطرة ما لم يغيرها السحر أن تكون بلهاء عمياء حمقاء إلى ارتكاب مثل هذا الخطل (١)؟

الدوج : أياً كان الذى استعان بمثل هذه الوسائل لاختطاف كريمتك من نفسها ومنك فسيلقى من القصاص أشد ما تؤول به نصوص قانون العقوبات الرهيب بما ندع لك الرأى فى تأويله. نعم هكذا سيكون ولو أن الجانى هو ابننا بنفسه.

براينسيو : شكراً لسموكم بكل خضوع. إن الرجل هو هذا المغربى الذى سمعت أنك استدعيته الآن لبعض أمور الدولة.

الدوج والأعيان : إننا لآسفون أشد الأسف.

الدوج : بم تجيب دفاعاً عن نفسك.

براينسيو : بلا شىء والحق ما ذكرتم.

عطيل : يا أولى الاقتدار والرفعة والوقار سادتى الأمجاد المديرين حق أننى أخذت كريمة هذا الشيخ بحيلة. وحق أننى اقترنت بها. غير أن ذنبى لا يتجاوز هذا القدر. إنى خشن فى مقالى وغير حاذق فى صناعة المخاطبة باللسان السلمى العذب ذلك لأن هاتين الذراعين، منذ بلغتا مبلغهما للسنة السابعة بعد مولدى إلى مبدأ التسعة الأهلة الأخيرة من عمرى، لم تألفا من الرياضة أجمل مما ألفتا منها حيال الفلوات المضروبة فيها الخيام وفيما عدا وقائع الحرب والجلاد لا أجد شيئاً ينطلق به لسان إلا اليسير من أحوال هذا العالم الواسع فإذا دافعت عن نفسى فلا قبل لى بتحلية الدفاع ولا خشية عليكم من تأثير محسنانى اللفظية ولهذا سأقص عليكم إن أدنتم بكلمات موجزة صريحة غير منمقة ولا مزدانة تاريخ غرامى وأذكر لكم أية العقاقير وأية الطلاسم وأية المؤامرات استخدمتها لإغراء كريمته فتعلموا مبلغ تلك التهمة من الصحة.

براينسيو : فتاة تعيش حبيبة هادئة خادرة تكاد تحمر خجلاً إذا أبدت حراكاً أتخالف طبعها وسنها وأمتها ومنزلتها من الجادة بل كل مسوغ مشروع لتتعشق شخصاً كانت تنهيب النظر إليه؟ من قال إن الكمال يشذ هذا الشذوذ عن نواميس الطبيعة فهو أبتر الرأى ناقصه والذى تقضى به الضرورة لدى

حدوث مثل هذا الحادث أن يبحث عن علته فى حيلة من حيل جهنم فأنا ما زلت مصرّاً أن ذلك الرجل أثر فيها بمزيج فعال فى الدم أو بشراب مرقى لهذا الغرض.

الدوج : الإصرار ليس بالإثبات ولابد لك من الاستشهاد بوقائع أجلى وأدق من المزاعم العرضية والتفديرات السهلة التى تدل عليها هذه الظواهر المألوفة.

العين الثانى : ليتكلم عطيل. هل اتخذت وسائل منحرفة ذات تأثير شديد لتنفث فى ضمير الفتاة السم وتملكها بها أو تذرعت إليها بالاستعطافات والإلحاحات الجميلة التى تتاجى بها النفس النفس لتستميلها؟

عطيل : أبتهل إليكم أن ترسلوا فى طلب السيدة من منزلى بالثكنة ولتتكلم عنى بحضرة أبيها فإذا شهدت بشيء تستقبحونه منى فلا فتكتفوا بحرمانى ثقتكم وعزلى من منصبى بل أوقعوا عقوبتكم على حياتى.

الدوج : لتستحضر ديدمونه.

عطيل : حامل العلم اذهب وادللهم على مكانها (يخرج ياجو وبعض الخدم) وفى انتظار قدومها سأقص على مسامعكم الشريفة قصة هذا الغرام الذى ملكت به قلب تلك الحسنة وملكته به قلبى.

الدوج : اذكر لنا هذه السيرة يا عطيل.

عطيل : كان أبوها يحبنى. وكان كثيراً ما يدعونى فيسألنى ترجمنى مفصلة سنة بسنة وبيان المكافحات والمحاصرات التى شهدتها وتعيد ما أحرزته من النصرات فكنت أجيبه إلى أمنيته حتى لم تبق فى حاتى كبيرة ولا صغيرة إلا حدثته بها وذلك منذ نعومة أظفارى إلى اليوم الذى كنت أجالسه فيه. فما وصفته له الطوارئ الرائعة والفواجع المبكية التى لقيتها براً وبحراً من مثل ما جرى لى يوماً وقد أوشكت أن أقتل فى ثلثة من ثلمات الحصار لولا لطف من الله تداركنى عن قيد شعره، ومن مثل استشارى يوماً لعدو وقح باعنى بيع الرقيق، ومن مثل شرائى رقيبى وضروب الغرائب التى صادفتها فى أيامى. وكان فى خلال إخبارى بتلك الوقائع يدخل فى كلامى تصوير مفاوز فسيحة وصحارى قاحلة ومحاجر كالحة وصخور وجبال تشمخ بقممها إلى العنان. كل هذه الأغراض كانت تمر تباعاً فى أقوالى ناهيك بمشاهداتى لأكلة اللحوم البشرية ولأقوام آخر جعل الله رؤوسهم تحت أكتافهم. وكانت ديدمونه تسمع هذه الأقاصيص بشغف. سوى أن بعض مشاغل البيت كانت بين آن وآن تضطرها للقيام فإذا انصرفت لها

قضتها بأسرع ما تستطيع وعات تشرب حديثي بأذن ظمأى. فلما لمحت ذلك منها استدرجتها ذات يوم فى ساعة مناسبة لتسألنى أن أقص عليها بالتمام سيرة رحلاتى التى كانت قد سمعت منها نتفاً ولم تتمكن من استتباعها فأعدت عليها تلك السيرة كما أردت وكنت أراها غير مرة تبكى رحمة لشبابى مما أصابنى فيه من الأرزاء الأليمة. وعندما ختمت قصتى كافأتنى عليها بتعهدات لا تحصى وأقسمت أنها غريبة فى الغاية وأنها محزنة إلى النهاية بحيث تمنى لو لم تسمعها - على أنها قالت فى بعض ما قالت إنها كانت تود لو خلقها الله رجلاً على هذا المثال ثم شكرت لى معروفى وكاشفتنى بأنه إذا كان لى صديق يحبنى فحسبى أن أعمله كيف يقص ترجمة حياتى لترضى به قريباً. هذه العبارة جرأتى فبحث لها بما فى ضميرى وعلمت منها أنها أحببتى بسبب الأخطار التى عانيت بها وشعرت من نفسى أننى أحببتها لما تبينت من شفقتها على ورقتها لى. ذلك هو الفن الوحيد الذى توسلت به إليها من أفانين السحر. على أنها قادمة وستسمعون شهادتها.

(تدخل ديمونه)

الدوج

: أعتقد أن قصة كهذه تستهوى بها ابنتى أيضاً، أيها العزيز براينسيو لا تنظر إلى هذه المسألة من حيث تؤلمك. إن الرجال لأشد دفاعاً عن أنفسهم بأسلحتهم المحطمة منهم بأيديهم وهى خالية.

برائيسيو

: ألتمس أن تسمعوا كلامها لتعترف أنها خطت نصف الطريق والله شهيد أن ملامتى لا تقع بشدتها على هذا الرجل. تقدمى أيتها الأنسة الجميلة أمدركة أنت لمن هؤلاء الجماعة الشرفاء يجب عليك الطاعة؟

ديمونه

: يا والدى الشريف أجد هنا واجباً مقسوماً. أنا مدينة لك بحياتى وتأديبى ومنهما أعرف قدر ما ينبغى لك على من التجلة وما زلت خليقاً بطاعتي لأننى لم أزل سليلتك. غير أن هذا الرجل قرينى وإنى لمقرة بين يديك إنى مدينة لهذا المغربى بمثل الطاعة التى كانت تلبيك بها أمى مؤثرة^(١) إياك على أبيها.

برائيسيو

: عافاكم الله. انتهيت. أرجو من سموكم أن يتحول اهتمامنا إلى مصالح الحكومة. كان خيراً لى أن أتبنى طفلاً ما من أن ألد هذه. إذن منها أيها

المغربي. أعطيك هنا عن رضا ما كنت لا أسمح لك به لو لم تسبق إلى ملكه. لك فضل على يا جوهرتي بسرور عظيم سررتك الآن، وهو أنني لم أرزق سواك من البنات، لأن فرارك كان يضطرنني أن أعاملهن بقسوة المستبدين. وأجعل في أعناقهن الحبال. انتهيت يا مولاي.

الدوج

: دعني أتكلم عنك وأذكر حكمة إذا عمل بها هذان العاشقان تدرجاً إلى رضاك. حيث بطل نفع الأدوية زالت الآلام بزوال ما كان عالفاً بتلك الأدوية من الآمال. البكاء على ما فات مجلبة لغيره من الآفات. من عجز عن استعادة ما ذهبت به المقادير فالأجدر به أن يحول بصبره جد المصاب إلى سخرية. ودُعاب. الرجل الذي يسرق فيبتسم ينتقص شيئاً من السارق، أما الذي يحزن بلا طائل فهو سارق نفسه.

برابنسيو

: إذن لندع الأعداء يغضبون منا قبرس ولا خسارة علينا ما بقى في استطاعتنا أن نبتسم. هذه حكمة خفيفة المجرى على لسان من في قلبه مثل ما فيها من التسلية، أما الذي يحمل الألم والحكمة معاً فهو الذي يستعير من الصبر ما يدفعه إلى الحزن. أمثال تلك الحكمة، وفيها الحلو والصاب مجتمعين والقوة والضعف متجاذبين. إنما هي كَلِمٌ ملتبسات على أنها ألفاظ ولسن إلا ألفاظاً. وما سمعت حتى الساعة بشفاء وصل من طريق الأذن إلى قلب جريح. لنتكلم الآن في شؤون الدولة. هذا ابتهالي إليكم بكل اتضاع.

الدوج

: الأعداء متجهون بأسطول شديد القوة إلى قبرس. عطيل أنت أدري بجهد ما تستطيعه تلك الجزيرة من المقاومة ومع أن لنا هنالك عاملاً ذكياً فيه الكفاية كل الكفاية لصيانتها إلا أن المشورة التي لها القول الفصل في تحول الأحوال هي التي أثرتك وبك تجد مزيداً من الثقة فلا بد لك من أن تشوب بهجة فرحك بأخطار هذه الحملة وضوضائها.

عطيل

: العادة وهي المستبدة قد استحكمت مني أيها الأعيان المتبصرون حتى جعلت مرقد الصخر والفولاذ في الحرب ألين لي من مرقد الزغب الناعم. وإنني لأشعر بسرور طبيعي وثاب لدى مغامرة المحن القاسية. فعلى إذن تولى هذه الحرب في وجه الأعداء. وغاية ما ألتسمه منكم مع الخضوع لعظيم اقتداركم أن تجعلوا لحيلاتي كفالة لاثقة لمقامها فتمنحوها منزلاً

وتجروا عليها رزقاً يكونان على مناسبة شرفها وعلو محتدها^(١).

- الدوج : لها أن تقيم عند والدها إذا رضيت.
برانسو : لا أرضى.
عطيل : ولا أنا.
ديمونه : كذلك وأنا أستغنى صيانة لوالدى من أن تحرجه رؤيتى. أيها الدوج الرحيم
تقبل منى دعاءً أستمد به معونتك لجرأتى.

- الدوج : ماذا تريد يا ديمونه؟
ديمونه : لقد أحببت المغربى حباً يقضى على بالأفارقة فى حياتى. اثبت ذلك بما
تعرضت له من سوء الأحداث والاستسلام للقدر وقلبى يعيننى على تحمل
جميع المتاعب التى يقضى بها على منصب هذا السيد الذى وقفت روحى
وسعادتى على مجده ويسالته. فإذا تركتمونى أيها السادة الأعزاء مقيمة
ههنا كالفراشة فى أيام الصفاء على حين يذهب هو إلى الحرب حرمتونى
إيفاء النذر الذى نذرت له لذلك الشرف الذى من أجله أحببته وسمتمونى
عذاب هجر طويل على مهما قصر.. فائذنوا لى بالسفر معه.

- عطيل : إننا بسفرها أيها السادة. أبتهل إليكم أن تجيبوها إلى سؤالها والله يشهد أننى
لا ألتمس لها هذا العناء لمتاع نفسى وإخماد لواعج قلبى. فقد شفيت سوريته
الأولى، ولكن لقضاء رغبتها بحب وكرامة. كما أننى أحاشى معالكم
الطاهرة من أن تظنوا أننى ساهمل الأعمال الجدية الجسيمة المنوطة بى
لأن حليتى تكون بجانبى. لا لا. ولو أننى استسلمت بغرام استسلاماً يغشى
بنعيمه حزمى وعزمى ويفسد لذاته قيامى بواجباتى لرضيت أن تأخذ قعائد
البيوت خوذتى^(٢) ليصطنعن منها طاسة وأن يبارينى فى شهرتى ومجدى
الزعانف الذين يصحبهم النحس والخجل فيظهروا على ويسبقونى.

- الدوج : ليكن من أمر حلها أو ترحالها ما تريان أنتما. الحاجة ملمة والخطب
يقتضى المبادرة.

- العين الأول : ينبغي أن تسافر الليلة.
عطيل : بكل ارتياح.
الدوج : سنجتمع ههنا الساعة التاسعة صباحاً فاستبق يا عطيل واحداً من ضباطك

(١) شرف أصلها.

(٢) قبعة الفارس من المعدن.

ليحمل إليك عدًا تكاليفنا ومرسومات تنصيبك وتلقيك.

عطيل : إذا أحسن لدى مرحمتكم أستبقى حامل علمي. هو رجل أمين نزيه وإليه سأعهد في إحضار امرأتى وحمل ما تشاء مرحمتكم إرساله إلى.

الدوج : ذلك إليك. طاب ليلكم جميعًا. إلى برانسيو أيها السيد الشريف إذا صح أن الفضيلة لا تخلو قط من جمال خلاب فصهرك أجمل بكثير مما هو أسود.

العين الثاني : صحبتك السلامة أيها المغربي الباسل. أحسن معاملة ديمونه.
برانسيو : اسهر يا مغربي إذا كانت لك عينان ترى بهما. إنها خدعت أباهما وقد تخذلك أيضًا.

عطيل : (يخرج النوج والأعيان والضباط الخ).
أن أضمن أمانتها بحياتي. أي ياجو النزيه إنني مضطر أن أدع لك ديمونه وأرجو أن توصي امرأتك بمنحها ما ينبغي من الخدم وعليك أنت أن توصلها إلى الجزيرة في أحسن ما يستطيع. تعالى يا ديمونه لم يبق لي إلا ساعة نخلو بها للوداع وتدبير شئون رحلتنا الوقت حاكم لا بد من طاعته

(يخرج عطيل وديمونه)

رديجو : ياجو.
ياجو : ماذا تقول يا ذا القلب النبيل.
رديجو : أي شيء تظني أتمناه الآن.
ياجو : لا جرم أن تتمنى الذهاب إلى السرير والرقاد.
رديجو : سأذهب لإلقاء نفسى فى البحر حالاً.
ياجو : إذا فعلتها لم أحبك بعد الآن أتفعلها أيها الشريف الأبله
رديجو : البلاهة أن نعيش حيث العيش ألم وأنجع دواء هو الموت، حيث يكون الموت الطيب.

ياجو : يا له من جبن! لقد بلغت الثامنة والعشرين من سنى ومنذ طفقت أتبين الإساءة من الإحسان لم أجد رجلاً يحب نفسه حق الحب. أنا قبل أن أعزم على الهلاك غرقاً لهيامى فى دجاجة ما، أوتر أن تحول من رجل إلى قرد.

رديجو : ما فى وسعى أن أعمل. أعترف أن العشق وقد بلغ هذه الغاية عار على ولكنه ليس فى طاقتى أن أستشفى منه.

: الطاقة؟ ما معنى الطاقة؟ نحن الذين بإرادتنا نكون كذا أو كذا. أجسامنا حدائقنا ومشياتنا يستأنيوها بحيث لو عن لنا أن نزرع فيها صنفًا دون آخر أو نستتبتنا عشبًا أو ننزع غيره أو نخد منها فتخصب أو نهملها فتمحل ففي مشياتنا من السلطة ما يكفي لإعدادها وتنقيحها على حد ما نشتهي. ثم إنه لو لم تكن في ميزان أعمارنا كفه من العقل لمعادلة كفه الشهوة لكانت خسة طبائعنا تدفعنا إلى أوحش العواقب. غير أننا رزقنا العقل لإخماد ثورة غضبنا وتسكين لواعج أمانينا البدنية وكبح شهواتها التي لا لجم لها. ومما تقدم أستنتج أن الذى تسمونه حبًا إن هو إلا فسيلة ^(١) كسائر الفسائل أو فرع كسائر الفروع.

: غير معقول أن يكون الحب هكذا.

ردريجو

: بل قل هو - وما يزيد عما أعرفه به - مطمع من الدم وإذن من الإرادة. تنبه وكن رجلاً. أتغرق نفسك. غرق لى بعض الهرار أو بعض الكلاب الصغيرة العمياء. لقد أبديت لك صداقتى وأجاهرك أننى مشدود إلى كرائم خالك بحبال متينة خالدة ولم يكن قط فى وسعى أن أخدمك كخدمتى إياك الآن. ضع نقودًا فى جيبك واتبعنا إلى دار الحرب مخفيًا وجهيك وراء لحية مستعارة. ضع نقودًا فى جيبك، نصيحة منى لك لا يحتمل أن تستمر ديدمونه على حبها للمغربى.. ضع نقودًا فى جيبك.. ولا يحتمل أيضًا أنه هو سيستمر على شغفه بها طويلاً ذلك بأن البداءة العنيفة فى مثل هذا الاتصال يعقبها الانفصام العنيف.. ضع نقودًا فى جيبك ولا تكلف نفسك غير هذا العناء.. إن هؤلاء المغاربة لمتقلبون فى أهوائهم.. املأ جيبك نقودًا. فإن الطعام الذى يجده الساعة شهياً كالأناناس سيصبح فى فمه مرًا كالعلقم.. وأيضًا هى فإنها ستبغى منه بدلاً أنصر عودًا، وعندما تشبع من رسمه تنبه لسوء اختيارها وتريد التغيير. حتمًا.. على هذا ضع نقودًا فى جيبك.. وإن كنت مصرًا على التهلك بلا محيص فالتمس شيئًا اقل فطاعة من الغرق.. اجمع ما تستطيعه من النقود.. فإذا لم تكن قدسية الزواج وضعف اليمين التى يرتبط بها بربرى شريد ورفيقة من نواغم البندقية أمرين فوق المكابد التى يفتقها فكرى وفوق جميع القوى الجهنمية فإنك لا محالة متمتع بها، إذن هبى نقودًا... أتغرق نفسك؟! بنس الرأى من رأى خائب.

انبذه وفضل أن تشنق وقد قضيت مأربك على الغرق الذى يقصيك عن
هذه الدنيا وفى نفسك تلك الحسرة.

ردريجو : أنتشط بلا ملل ولا انحراف لتحقيق آمالى إذا عزمت على هذا السفر.
ياجو : أنت على ثقة منى. اذهب واعدد نقودًا. قلت لك مرارًا وأعيد عليك قولى
تكرارًا إننى أكره ذلك المغربى وبغضى له متأصل فى فؤادى كما هو
متأصل فى فؤادك فلنجمع ثأرينا وإذا استطعت أن تدنس عرضه كان ذلك
لك سرورًا وكان لى تفكهة. اللالى يحملن كثيرًا من الحوادث وسيلدنهن. إلى
الأمام إلى الأمام. اذهب واجلب نقودًا ثم نستأنف المفاوضة غدًا أستودعك
الله.

ردريجو : أنى نلتقى غدًا صباحًا.
ياجو : فى منزلى.
ردريجو : سأذهب إليك مبكرًا.
ياجو : حين نشاء إلى الملتقى. أسمعت؟
ردريجو : ماذا تقول؟
ياجو : أقول إياك والغرق.
ردريجو : غير عزمى وسأبيع جميع أملاكى.
ياجو : اذهب موفقًا وضع نقودًا كافية فى جيبك (يخرج ردريجو)

بهذه الحيلة وبأمثالها جعلت هذا الأحقق موضع جيبى ولو لم افعل
لانتقصت التجارب التى اكتسبتها إذ لا معنى لإضاعة وقتى مع مثل هذا
الفرخ الرومى ما لم أستفد منه تسليية ومالًا. أنا أمقت المغربى يظن
الجمهور أنه أعلى منصبى من تحت لحافى على أننى لا أعلم إن كان
هذا الظن صحيحًا ولكن الوهم فى مثل هذا يكفى عندى للحلول محل
الحقيقة. الرجل يحترمنى واحترامه إياى يزيدنى رجاءً بإفلاح مكايدي.. أما
كاسيو فهو شاب جميل لنفكر فى أمره هنيهة... ما العمل للحصول على
منصبه بحيث أكون قد أصبت راسين عن رمية واحدة من رميات غدري؟
آية الحيل أفضل؟ لنفكر قليلًا. خير وسيلة فيما أظن أن آخذ بمخادعة أذن
عطيل فألقى فيها كلمة بمعنى أن كاسيو شديد التقرب من امرأته. على أن
شكل كاسيو وحسن أدبه يريان، وقد خلق لإغواء الغوائى. ولما كان
المغربى صريح الضمير بين الطوية يعتقد النزاهة فى كل من يرى عليه
ملمحها كان من الميسور لى أن أقتاده من أنفه كما يقتاد الحمار. هذه

مكيدتى ظفرت بها... فليستولدها صلب الظلام من بطن جهنم خلقًا شاذًا
إذا طلع عليه النهار ظهر فظيعةً رهيبًا.

obeyikandali.com

الفصل الثانى

المشهد الأول

مرفأ فى قبرس ورواق

[يدخل منتانو ووجيهان]

- منتانو : ماذا تتبين فى البحر من جهة الرأس؟
- أحد الحاضرين : لا أتبين شيئاً. البحر مضطرب جداً ولا أستطيع أن أرى شراعاً بين السماء والماء.
- منتانو : أجد أن الريح قد أزعجت الأرض ولا أظن أن إعصاراً كان أشد على حصوننا وممتعاتنا من هذا الإعصار على أنه إذا كان هذا ما فعله فى البحر فأية الأشجار استطاعت أن تبقى فى منابتها عندما تحاذفت عليها جبال الأمواج. أى شىء سيجيئنا من أخبار هذه العاصفة.
- الوجيه الثانى : تفرق أسطول الأعداء. انظر من الشاطئ المضطرب تر الأمواج الثائرة كأنها واثبة لتضرب الساحب بل كأنها هاجمة بغفرتها (١) الرائعة المتعالية لتلقى ماء على النار المتقدة فى نجوم الدب ولتطفئ تلك الثوابت من حراس القطب. ما رأيت عمرى غضبة للبحر الهائج كهذه الغضبة
- منتانو : إذا كان أسطول العدو لم يلجأ إلى الموانئ فإنه لغريق وتستحيل عليه المقاومة. (يدخل وجيه ثالث)
- الوجيه الثالث : أخبار جديدة يا أولادى. انتهت الحرب لأن هذه العاصفة الجموح تركت أساطيل الأعداء مكسورة الأجنحة وقد رأى غرقها وتحطمها مركب قادم من البندقية.
- منتانو : يا للعجب أصدق ما تقول؟
- الوجيه الثالث : المركب قد دخل المرفأ ونزل منه فيرونى (٢) يدعى ميشيل كاسيو. هو ملازم المغربى الباسل عطيل. ومن قوله إن عطيلاً فى العباب الآن وإنه موقد إلينا ليكون أمراً مطلقاً فى قبرس.
- منتانو : أنا مسرور به لأنه حاكم جدير بهذا المقام.
- الوجيه الثالث : غير أن كاسيو هذا على ما جاعنا به من الأنباء الطيبة عما حل بالأعداء لا يبدو عليه الارتياح بل هو كئيب يدعو الله لنجاة المغربى لأن العاصفة

(١) لبات الأسود.

(٢) نسبة إلى مدينة فيرونا بإيطاليا.

بشدتها فرقت بينهما.

منتانو : لنضرع إلى الله أن يسلمه فقد خدمت تحت إمرته وهو قائد لا عيب فيه.
هلم إلى الشاطئ لنرى المركب الذى وصل ونرقب بأعيننا مقدم عطيل.
ولنلبث ناظرين من موقفنا حتى تختلط فى أبصارنا خضرة البحر وزرقة
الهواء.

الوجيه الثالث : لنفعل ذلك فإنه يرجى فى كل دقيقة طروق فوج من الوافدين.

(يدخل كاسيو)

كاسيو : حمداً لك أيها الباسل حاكم هذه الجزيرة لذكرك المغربى بمثل هذا المديح .
لعل الله يقيه فقد ضللت عنه فى بحر زاهر بالأخطاء .

كاسيو : أقول سفينته صالحة للمقاومة؟

كاسيو : سفينته متينة البناء ودليلة ملاح مشهود له بالمهارة لهذا لم يضعف أملى
بمجيئه.

صوت من الخارج : شراع. شراع. شراع.

كاسيو : ما هذا النداء؟

الوجيه الرابع : خلت المدينة من أهلها وجميعهم على الشاطئ يصيحون هذا شراع.

كاسيو : قلبى يحدثنى بأن هذا مجيء الحاكم (قصة مدفع)

الوجيه الثانى : تلك قصفات وداد فلا بد أن القادمين من أوليائنا.

كاسيو : هلا ذهبت يا سيدى فأخبرتنا من القادمون؟

الوجيه الثانى : أنا ذاهب.

منتانو : أقانذك متزوج أيها الملازم الكريم.

كاسيو : صادفته العناية فملك قلب فتاة لا يحيط بجمالها الوصف حتى ولا المبالغة.

فتاة تفوق بمحاسنها الفطرية أبرع ما يتخيله الكاتبون وأبدع ما يصوره
المصورون. (يعود الوجه الثانى)

كاسيو : بشرنا من دخل المرفأ؟

الوجيه الثانى : رجل يدعى ياجو حامل علم القائد.

كاسيو : وُفِّق فى سفره وسبق الأوان. فلا ريب أن العواصف نفسها، والبحار الثائرة،

والرياح الزائرة، والصخور التى تعترضها الأمواج والرمال المتراكمة الخائنة

التي تتصيد المركب البرىء قد داخلها شبه رقة للجمال فتحولت عن

طبائعها المهلكة، لتفسح سبيلاً أمينة تمر منها ديمونه.

منتانو : من هذه الإنسانية؟

كاسيو : هي التي كنت أذكرها لك. هي قائدة قائدنا العظيم. جاءت يرعى طريقها
الباسل ياجو الذى وصل بها قبل الموعد بسبعة أيام. أيها المشتري الأكبر
مالك البحر أيد عطيلاً وأملاً شراعه بنسمنك القديرة ليشراف هذا المرفأ
بزيارة مركبه الجميل ولينعم بقرب ديدمونه وليذكى فى قلوبنا ما خبا من
ضرم الشجاعة ولينمح قبرس الأمن والسكون.

(تدخل ديدمونه وإميليا وياجو وريدجو وبعض الأتباع)

كاسيو : انظروا هذه كنوز المركب قد نزلت إلى البر. يا سكان قبرس سجوداً لديها.
تحية وسلاماً أيتها السيدة ولتحط بك النعم من كل جانب.

ديدمونه : شكراً لك يا كاسيو المقدام. ما عندك من أخبار سيدى؟

كاسيو : لم يصل بعد ولكنه بخير فيما أعتقد. وسيكون ههنا عما قليل.

ديدمونه : أواه، أنا خائفة. كيف لا تكون مصاحبة؟

كاسيو : فرقت بينما مكافحة الماء والسماء. لكن سمعاً هذا شرع.

(قصفة مدفع)

صوت من الخارج : شرع.

الوجيه الثانى : قصفات تحية للقلعة هؤلاء هم أيضاً أصدقاء.

كاسيو : وافنا بالنبأ (يخرج الوجهه) يا حامل العلم الكريم مرحباً بك (إلى إميليا)

وأهلاً بك أيتها السيدة. يا صديقى ياجو. لا تحنق إذا تماذيت فى مجاملتى

لامراتك فإن الألب الذى ربيت عليه هو الذى يحملنى على تجاوز اللائق

(يقبل إميليا).

ياجو : لو أعطتك من شفتيها مقدار ما تعطينى من لسانها لاكتفيت سريعاً.

ديدمونه : أسفى عليها لقل ما تتكلم.

ياجو : بل وذمتى إنها لتتكلم فوق الكفاية. أشعر بذلك كلما جاءت ساعة الرقاد. لا

جرم أنها فى حضرتك الآن تضع شيئاً من لسانها فى قلبها ولكنها

تختصمنى فى فكرها.

إميليا : لا سبب يدعوك لمثل هذا اللمز.

ياجو : كيف لا؟ كيف لا؟ وأنتن النساء حور حين تكن خارج البيوت وأجراس حين

تكن فى الخدور، وهرر برية فى المطابخ. وقد يسات حين تتصدين لإهانة

أحد ، وشياطين حين يجرؤ أحد على تكديركن وبواهل عواطل حين تجب

خدمة المنزل ونشيطات مشتغلات بأمور المنزل حين تدخلن الأسرة.

ديدمونه : ويح لك من نام..

- ياجو : لست بنمام، هي الحقيقة أو أنتسب لأعداء بلادى إنكن إن تهضن فلتنتزه
أو تدخلن الأسرة فلانشغال بمسائل البيوت.
- إميليا : لو ابتغيت مادًا لما استعنت بك.
- ياجو : أولى لك ثم أولى!
- ديمونه : ولو كلفت بمدحى ما تقول؟
- ياجو : أيتها السيدة الشائقة لا تكلفينى عملاً كهذا لأنك إن طلبت منى غير الهجو
صيرتنى إلى عدم.
- ديمونه : خالف طبعك وجرب. أذهب أحد إلى الميناء؟
- ياجو : نعم سيدتى.
- ديمونه : لست منشحة الصدر لكننى أخادع حالة بضدها.
- أجبنى كيف تمتدحنى..؟
- ياجو : أفكر فى ذلك فما أجد فكرى ينطلق من يافوخى إلا وهو منتزع دماغى
وسائر ما هناك كما يفعل الغراء بالوبر الطويل وقد علق به غير أنه إذا
كان لابد لقريحتى أن تتمخض فهذا ما تلده: "إذا كانت المرأة جميلة وذكىة
فجمالها لخدمة الآخرين وذكاؤها لاستخدام الجمال".
- ديمونه : أحسنت فإذا كانت المرأة سوداء وذكىة.
- ياجو : إذا كانت المرأة سواء وذكىة وجدت رجلاً أبيض لا يرى سوادها سوادًا.
- ديمونه : انتقلنا إلى أقبح مما سبق.
- إميليا : فإذا كانت جميلة وحمقاء.
- ياجو : لا حماقة مع الجمال لأن الجمال يعينها على إيجاد وارث لها.
- ديمونه : هذه سفاسف قديمة قيلت لإضحاك البلهاء فى الخمارات فإن استزدنا فأى
شئ تقول فى البشعة الحمقاء؟
- ياجو : مهما تكن بشعة وحمقاء فإنها ترتكب من الغوايات ما ترتكبه الحسناء
الفطنة.
- ديمونه : ما أكثف هذا الجهل! تصف أقبح النساء بأحسن ما عندك. والآن كاشفنا
برأيك فى امرأة فاضلة واثقة من شرف خلالها بحيث لا تخشى اللوم ولا
التثريب.
- ياجو : المرأة التى عاشت جميلة ولم تتكبر، التى لزمته حد الكلام الحر فى
مناسبتة ولم تجاوزه إلى الطنطنة، التى توفر الذهب بين يديها ولم يطش
قلبها، التى استمالها الغرام فلم تمل وهى قائلة فى نفسها لو شئت

لاستطعت، التى غيظت وملكت الانتقام فأسكنت غيظها وسامحت فى ألمها، التى لم تضعف عندها الحكمة حتى ترضى بذنب كلب البحر بديلاً من رأس المرجانة، التى ذكا فكرها ولكنها لم تتجه به إلى كشف محاسن نفسها، التى لمحت المحبين يهرعون وراءها ولم تلتفت. تلك إنسانة لو وجدت ومثلها لا يوجد...

- ديدمونه : لو تسنى وجود تلك الموصوفة فما نقول فيها؟
- ياجو : أقول إنها كانت أصلح النساء لإطعام الأغبياء وتدبير حسابات الفنادق.
- ديدمونه : بنست النتيجة العرجاء الكسيحة. لا تتعلمى منه هذا العلم يا إميليلا ولو أنه قرينك. ما رأيك فيه يا كاسيو أليس هجاءً شديد الاستباحة عن غير خبرة.
- كاسيو : يتكلم بلا تصنع يا سيدتى ولكنه يعجبك بسيفه أكثر مما يعجبك بلسانه.
- ياجو (على حدة) : وضع يده فى يدها. أحسنت أحسنت. ناجها همساً. متى وجدت مصيدة من نسيج العنكبوت رقيقة كهذه الحاشية لم يصعب على أن آخذ بها ذبابة لو بلغ حجمها حجم كاسيو. نعم ابتسمى له. تمتع. سأصيدك بليوننة أدبك.
- كل ما تقوله صحيح... بلا ريب وضمنى. كان خيراً لك وأنت عازم على استبقاء منصبك ألا تجعل أصابعك الثلاثة فى فمك توسعها تقبيلاً لترى الحسناء أنك شاب جميل.. أحسنت. هكذا لثم الأصابع ما ألطف هذه المجاملة... فى الغاية فى الغاية... ما هذا؟ أتعيد أصابعك إلى فمك مرة أخرى؟ ما أشوقنى لرؤية تلك الأصابع تتحول عند حاجتك إلى أنابيب محقنة. (يسمح بوق عسكرى) لقد جاء المغربى عرفت بوقه.
- كاسيو : نعم هو هو هو (١).
- ديدمونه : بدار لملاقاته.
- كاسيو : بل قد أقبل.
- عطيل : يا حبيبتي الشجاعة.
- ديدمونه : يا حبيبى عطيلاً.
- عطيل : لا يعادل سرورى بلقائك إلا إعجابى بأن أراك تقدمتى يا بهجة حياتى، لو كانت جميع العواصف تنتهى إلى مثل هذا الصفاء فليت الرياح تزار حتى توقظ الموتى وليت فلكى وهى تعاند المعاطب ترتفع بها جبال من الأمواج

عالية كالأولمبس^(١) ثم تتحدر بها إلى الحضيض البعيد بعد جهنم عن السماء! أما والذي بيده نفسى لوددت أن أموت الآن من فرط ما أنا فيه من السعادة المطلقة التى أخشى ألا يعاودنى مثلها فى المستقبل المجهول!

ديدمونه

: أعفانا الله من أن ينتقص حبنا وهناؤنا قبل أن يحين أجلنا.

عطيل

: أجيب بآمين على هذا الدعاء يا أيتها السماوات الرحيمة لا أستطيع الإفصاح عما أنا فيه من البطة كما أتمنى. يكاد السرور لشدته يقطع على أنفاسى لتكن هذه القبل (يقبلها) غاية ما يبلغه قلبانا من الخصام والشقاق.

ياجو

: أنما الآن على أتم اتفاق ولكن أقسم بنزاهتى إلا ما أرخيت الأوتار التى تخرج من هذه النغمات المؤتلفة.

عطيل

: هلم بنا إلى القصر، أنا حامل إليكم بشرى يا أصحابى.. انتهت حروبنا بغرق الأعداء، كيف حال الذين عرفناهم قبلاً من أهل هذه الجزيرة؟ أى حبيبى سيقيمون لك أفرحاً عظيمة فى قبرس ولى عند ساكنيها مودة أعتد بها، أى حبيبى إننى أكثر من الكلام بغير ما يجب وأكاد أهذى من وفرة ابتهاجى، أرغب إليك يا أمينى ياجو أن تذهب إلى المرفأ وتحمل إلى أشيائى ثم ادع رئيس الملاحين إلى القلعة فهو ذو براعة فوجب له الإكرام. تعالى يا ديدمونه، على الرحب والسعة. وذلك فى قبرس.

(يخرج عطيل وديدمونه)

ياجو

: (مخاطباً رديجو) أصحابنى حالاً إلى المرفأ، تقدم إن كنت شجاعاً، يزعمون أن سفلة الناس متى عشقوا اكتسبوا من شرف النفس ما يفوق فطرتهم، فأصغ إلى: الملازم يسهر الليلة بين الحرس واعلم أن ديدمونه مغرمة متيمة به.

رديجو

: مغرمة به؟ هذا غير ممكن.

ياجو

: اقل شفتيك بإصبعك هكذا وتعلم... ألم تلمح بأية قوة أحببت المغربى ابتداءً وذلك لمفاخراته والأكاذيب الوهمية التى قصها عليها؟ أتراها تحبه أبداً لأمثال هذه الثمرات؟ ستتوق عينها إلى منظر جميل وأى شعاع تجده حينئذ برؤية ذلك الشيطان، متى برد الدم بعد جهد المداعبة الغرامية كان لابد لإيقاده ثانية ولإدخال جوع جديد على الشبع من جاذب فى الملامح، وتتاسب بين العمرين، وتوافق فى العادات، وتشاكل فى المحاسن،

والمغربى خلو من هذه الأشياء وأمثالها، فأما وهذه المشوقات مفقودة منه فمن المحقق أن تلك النفس الرقيقة سترى كيف خدعها ولا تلبث أن يأخذها الفواق ^(١) تَقْزَازًا ^(٢) منه، وأن تقلاه وتبغضه فحينئذ تندفع بدافع الطبيعة إلى رجل آخر تؤثره. فإذا ثبت هذا يا سيدى وهو تقدير بديهى، لا شبهة فيه بقى أن الرجل الذى فى طريق السعادة إنما هو كاسيو ذلك الضحكة العشاق الذى لا يتسع ضميره لأكثر من تزويق شكله بمظاهر الأدب والحشمة يخفى بها ما تحتها من أهوائه الفاسدة المنحرفة، وأيم الحق إنه لفى أحسن جادة ^(٣) تبلغه هذه الغاية خصوصًا مع ما هو عليه من الليونة والتلطف لمقاصده ومن التعود على انتهاز الفرص السانحة التى ربما خلقها بدقة ونظرة ورشاقة حيلته فهو هزأة رجيـم وفوق ذلك شاب وجميل إلى سائر الصفات التى تختلب بها ألباب مجنونات الغرام ثم إنه يتصل كالمرض المعدى وحسبك منه أن المرأة قد لمحتة.

- ردريجو : لا أصدق ما تدعيه لأنها ميالة إلى الفضيلة كل الميل.
- ياجو : كلمنى عن فضيلتها وأكلمك عن أذئاب التين، لو كانت كما تتوهم لما أحببت المغربى. بل إن بها صلاحًا ولكنه صلاح القطعة من حلوى البودنج. ألم ترها لاعبة بمقبض يده، ألم ترها؟
- ردريجو : قسمًا بيدي لا مجاملة، ولكن مغازلة. لم تكن السبابة ^(٤) أول الدهر إلا المستهلة ^(٥) الخفية لتاريخ الأفكار الأثيمة والمحرمات الشهوية. أوشك نغراهما أن يلتقيا وتلاثم نفساهما. ذلك من ضروب الشرع فى الجريمة يا ردريجو، وأمثال هذه المجاملات متى افتتحت السير ففى العادة أن يتبعها القائد ومعظم الجند على الأثر والعاقبة والالتحام. خل عنك هذا يا سيدى ودعنى أقذك بما أننى أحضرتك من البنديقة. كن فى عسس ^(٦) هذا الليل وسأسر إليك الشعار ^(٧) كاسيو لا يعرفك وأنا أكون قريبًا منك. استتبط

(١) الفواق تعرفه بالظغطة.

(٢) استنكارًا واحتقارًا.

(٣) الطريق القويمه.

(٤) ثانية الأصابع بعد الإبهام.

(٥) المفتتحة .

(٦) حرس.

(٧) سأقول لك كلمة المرور فى المواقع العسكرية.

وسيلة لإغضاب كاسيو سواء بمخاطبته جهراً أم بالسخرية من نظامه أو بأى سبب آخر تختاره والأسباب ستكون متوافرة فى تلك الساعة.

ردريجو : سأفعل.

ياجو : إنه يا سيدى غضوب وله مفاجآت فى كدره وربما ضريك. حركة حتى يفعل وعندئذ أنتهز الفرصة أنا لإثارة فتنة بين شعب قبرس تكون خاتمتها لا محالة عزل كاسيو وهكذا يختصر سفرك إلى غايته بما أكيدته من المكاييد لتحقيق هذه الأمنية ويزول من وجهك هذا الحائل الذى لا ندرك مع وجوده مرامنا.

ردريجو : إذا سنحت فرصة لم أتردد.

ياجو : ستجد الفرصة عن يقين. الحق بى إلى القلعة بعد هنيهة وأنا ذاهب إلى المرفأ لأبعث إليه بثقله ^(١) إلى اللقاء.

ردريجو : إلى اللقاء.

ياجو : أن يحبها كاسيو ذلك صحيح وأعتقد أنه تحب هى كاسيو ذلك محتمل وسهل التصديق. المغربى - على كرهى له - شريف الخلق ثابت فى حبه ولعله يكون لديمونه بعلاً وفيّاً لكن أنا الآن أحبها أيضاً لا لشهوة تقضى - وإن كان الإحساس الذى يدفعنى إليها لا يقل عن ذلك إجراماً - بل لأنها تهين لى سبيل انتقامى ذلك لأننى أظن أن المغربى الفاسق قد اندس فى فراشى وهو تخمين يأكل الأمعاء أكل السم المعدنى ولا شىء يرفه ^(٢) عن نفسى إلا أن أجعله عديلى، امرأة بامرأة، فإن لم أستطع فأن أثير فيه من نار الغيرة ما لا يقوى عليه العقل. ولإدراك هذا المرام أرجو أن يطاوعنى ذلك النشاق ^(٣) الحاذق الذى جلبته من البندقية بلا كمامة فإذا تبع الأثر جيداً لم ألبث أن أملك ميشيل كاسيو عاجلاً من كليتيه وأن أسود وجهه فى نظر المغربى تسويداً تاماً لأننى أخشى أيضاً أن يكون بين كاسيو المذكور وبين القبعة التى ألبسها للنوم عداوة يسعى لإزالتها ^(٤) ثم أريد أن يحببنى المغربى وأن يشكر لى بالحمد والمكافأة جعلى إياه جحشاً

(١) يخفف.

(٢) يصف ردريجو بصفة الكلب .

(٣) إشارة إلى اشتباهه فى ريبة ينويها كاسيو لامرأة ياجو.

بيئاً.

وإقلاقي راحته وإفسادي سعادته إلى أن يجن جنوناً. هذا مبدأ الخطة التي رسمتها هنا (يشير إلى جبهته) لمكيدتي. هي خطة لا تزال بجملتها مبهمة ولكن وجه الخديعة لا ينكشف إلا إذا أتمت الخديعة فعلها.

obeikanal.com

المشهد الثانى

طريق

[يدخل مناد بيده قرطاس والشعب يتبعه]

المنادى

: اقتضت مشيئة عطيل قائدنا الشريف الباسل بناءً على ما ورد من الأنباء المحققة بدمار أسطول الأعداء أن يعيد الأهليون سروراً بهذا الحادث بعضهم بالرقص وبعضهم بإطلاق السهام النارية وكل بالملاهى والألعاب التى يؤثرها. ذلك لأن هذا اليوم عدا ما جاء فيه من الأخبار السارة يوم الاحتفال بقرانه. وقد أمرنا بإبلاغ الشعب أيضاً أن جميع مطاعم القصر ومقاصفه مفتوحة ولمن يشاء أن يأكل فيها ويشرب منذ هذه الساعة الخامسة إلى أن يقرع جرس الساعة الحادية عشرة. بارك الله فى جزيرة قبرس وفى قائدنا الشريف عطيل.

المشهد الثالث

ردهة فى القصر

[يدخل عطيل وديدمونه وكاسيو ونفر من الحاشية]

عطيل : يا عزيزى ميشيل ارقب الحرس الليلة ولنعين لمسراتنا المدى الذى يقتضيه العقل لئلا نتجاوز نحن الحد الذى يجيزه التصوُّن^(١)

كاسيو : أمر ياجو بما يجب وسأرقب العسس بنفسى.

عطيل : ياجو أمين جداً، طاب ليلكم، نلتقى بكرة غدٍ يا ميشيل لحاجة بى إليك.. (إلى ديدمونه) تعالى يا غرامى لنذوق من جنى ما كسبنا ذلك النعيم الذى لم نذقه إلى الآن، طاب ليلكم.

(يخرج عطيل وديدمونه والحاشية)

(يدخل ياجو)

كاسيو : مرحباً بك يا ياجو، علينا الحراسة.

ياجو : لم تجئ الساعة العاشرة أيها الملازم وإنما صرفنا قائدنا الليلة قبل الأوان من أجل غرامه ولا ملام عليه لأنه لم يقض إلى الآن ليلة كاملة مع ديدمونه على كونها قطعة تليق للمشتري^(٢)

كاسيو : إنها لسيدة شهية جداً.

ياجو : ومحبة للعب. أكلت لها على ذلك.

كاسيو : وعندى أنها أنضر المخلوقات وأرقها.

ياجو : ثم إن لها نظرة إليك أدعى ما تكون إلى البراز.

كاسيو : نظرة إقبال ولكن عن سلامة.

ياجو : وإذا تكلمت ألا يخال من صوتها أن دبانا^(٣) تضرب نعمة الغرام على توقيع حربى.

كاسيو : هى الكمال مجسماً ولا وراء.

ياجو : لنذع السعد يتبطن لحافهما وتعال أيها الملازم ندخل إلى هذا المكان فقد خبأت فيه إبريق نبيذ وهناك بعض الكرام القبرسيين يسرون بشرب نخب فى صحة عطيل الأسود.

(١) صون النفس عما لا يحمد.

(٢) كبير الآلهة اليونانيين الأقدمين.

(٣) إلهة الصيد.

كاسيو : لا أشرب الليلة أيها العزيز يا جو لأن رأسي من أضعف الرؤوس وأقلها
تحملاً للخمر وكان بودي لو أن الأدب اخترع لنا وسيلة غيرها للتودد
والتجامل.

ياجو : الضيوف من أصدقائنا ولا تشرب إلا كوباً واحداً بل أشربه عنك.
كاسيو : ما تعاطيت الليلة كوباً واحداً مقتولاً (بالمزج) ومع ذلك قد بدا على أثره. إنى
أسيف لهذا الضعف ولا أجرؤ أن أحمل نفسي كوباً آخر.
ياجو : أتصر على الامتناع أيها الصديق واللييلة ليلة عيد وأصدقائنا يتمنون
مساقاتنا النخوب.

كاسيو : أين هم؟
ياجو : بالباب أرجو أن تذهب وتدعوهم.
كاسيو : سأفعل ذلك على أنه لا يعجبني.
ياجو : إذا استطعت أن أسقيه كأساً غير التي شربها قبلاً امتلاً من الخصومة
والسباب كامتلاء الكلب الذي تعوله مولاتي الجميلة... ومن جهة أخرى
فإن رديجو رفيقي المريض الأبله الذي قلب الحب دماغه قد شرب الليلة
كأساً بعد كأس تكريماً لديمونه وسيكون مع العسس وهناك أيضاً ثلاثة من
فتية قبرس كرماء النفوس شديدي التحمس في مسائل الشرف لو اندفعوا في
كراهية اندفع معهم جميع سكان قبرس الشجعان قد سقيتهم إلى الشرق
وسيكونون من الحراس. بقى على أن أستفز كاسيو بين هذا القطيع من
السكرارى المدمنين لإتيان أمر يعتدون مهنيًا للجزيرة وأهلها، لكن أراهم
قادمين ولئن طابقت النتائج مقدمات تدبيري سارت سفينتي على ما أشتهى
بمعونة المد وموافقة الريح.

(يدخل كاسيو ثم منتانو ثم أعيان آخرون ثم خدم يحملون آنية الشراب)

كاسيو : لقد أوصلوني إلى حد النشوة.

ياجو : هاتوا خمراً (يتغنى):

دعوني أرزن الدن

دعوني أرزن الدن

ما الجندى إلا إنسان

ما العمر إلا دقائق

خلو الجندى يشرب ما شاء

هاتوا نبيدًا يا أولادى

كاسيو : بالله أنشودة جميلة.
ياجو : تعلمتها فى إنجلترا التى أهلها أقدر الناس على تفريغ الدنان بلا نزاع أما
الدانمركيون والألمان والهولنديون ذوو البطون الكبيرة. هاتوا خمرًا. فإنهم لا
شئ فى مقابلة الإنجليز.

كاسيو : وهل الحقيقة على ما تصف؟
ياجو : الواحد منهم يعاطى الدانمركى حتى يدعه ميتًا من السكر وهو لم يتعب،
كما أنه يغلب الألمانى فى هذا المجال ولا يعرق، فإذا ناظر الهولندى
أرسله يتقايًا قبل أن يملأ الزق الثانى.

كاسيو : فى صحة قائدنا.
منتانو : اشرب هذا النخب أيها الملازم وأنا قريعك مهما ترفع الكأس.
ياجو : واهًا لإنجلترا الشائقة (ينشد):

كان الملك إثنين نبيلًا شريفًا
يشترى سراويلاته بتاج^(١)
ويظنه مغبونًا بستة بنسات من الثمن نقدًا
يلقب الطرزي^(٢) بالضحكة
كان شابًا بعيد الشهرة
وأنت لست إلا رجلاً دينيًا
الكبرياء مضيعة للأهم
فقم وتدنر بدتارك العتيق

نبيذًا يا غلمان
كاسيو : بذمتى لهذه الأغنية ألطف من الأولى.
ياجو : أتريد أن أعيدها عليك.
كاسيو : لا. لأتنى أعتقد أن من يعمل مثل هذه الأعمال غير جدير بمنصبه، على
أن الله فوق العباد والعباد فريقان يوم الدين، ناجون وغير ناجين.
ياجو : هذا حق أيها الملازم الكريم.
كاسيو : أما أنا فأرجو أن أكون ناجيًا ولا يؤخذانى فى ذلك القائد ولا أى رجل ذى
مكانة.

(١) نقد مسمى هكذا.

(٢) خياط اللابس.

- ياجو : وأرجو النجاة لنفسى مثلك.
- كاسيو : نعم ولكن بعدى لأن الملازم يجب أن ينجو قبل حامل العلم، لكن حسبنا حديثاً فى هذا المعنى....
- لنلتفت إلى شؤوننا. اللهم اغفر لنا خطايانا. أيها السادة لنلتفت إلى شؤوننا.... لا تظنوا أنى سكران يا سادتى، هذا حامل علمى، وهذه يمينى وهذه يسراى، لست سكران ألبتة، أستطيع الوقوف قوياً والتكلم حسناً.
- الجميع : حسناً جداً.
- كاسيو : على المرام. إذن لا ينبغي أن تظنونى سكران.
- منتانو : إلى الرواق يا سادتى نرتب العسس.
- ياجو : (يخرج كاسيو)
- أنتظر هذا الرفيق الخارج الآن، هو جندى لائق للخدمة تحت إمرة قيصر ولتولى القيادة العامة. إلا أنه مصاب بهذه الآفة كما ترى وهذه الآفة بالغة منه مبلغ فضله فهو بينهما شطران مستويان. غبن عظيم. وإنى لأخشى أن تكون الثقة التى لعطيل به سبباً فى زلزلة الجزيرة إذا حمله السكر يوماً على منكرة من منكراته.
- منتانو : أكثرًا ما يكون على مثل هذه الحالة.
- ياجو : هذه الحالة تكون على الدوام مقدمة لمانمه. وإذا لم ترقده النشوة فقد يقضى يومه ليلة مستيقظاً.
- منتانو : يحسن أن ينبه القائد إلى هذه الخلّة فقد لا يراها فيه وقد تكون الفضائل التى يجدها عنده حاجبة نظره عن عيوبه. ألا؟
- (يدخل رديجو)
- ياجو(مخاطباً إياه على حدة) : ما أتى بك يا رديجو. اذهب عبدوا وأدرك الملازم. اذهب.
- منتانو : من الحيف أن يعرض المغربى العظيم للخطر منصباً ذا بال كمنصب نائبه بتركه إياه بين يدي رجل مصاب بآفة كهذه لا يرجى شفاؤه منها ومن المروءة أن يفتح فى هذا الشأن.
- ياجو : أنا لا أفعل ولو أعطيت هذه الجزيرة كلها بدلاً من إقرارى لأننى أحب كاسيو وبودى لو أستطيع شفاءه مهما أبذل فيه من مرتخص وغال لكن أسمع صوتاً.... ما هذه الجلبة.
- (يعود كاسيو دافعاً أمامه رديجو)
- كاسيو : يا خسيس.. يا نذل.

- منتانو : ماذا جرى يا ملازم.
- كاسيو : غبى يعلمنى واجبى، سأضربه ضربة تسحقه حتى يدخل فى زجاجة.
- رديجو : تسحقنى؟
- كاسيو : أنثرثر يا دنى..
- منتانو : حلمًا يا سيدى الملازم، أضرع إليك! اكفف يدك.
- كاسيو : دعنى، أنت يا سيدى، وإلا كسرت فكك.
- منتانو : كفى كفى أنت سكران.
- كاسيو : سكران؟ (يتضاريان بالسيوف)
- ياجو (مخاطبًا : طر وصح: فتنة فتنة (يخرج رديجو) حلمك أيها الملازم الكريم. أسفًا يا رديجو على حدة)
- أيها السادة. المعونة يا للناس. سيدى الملازم. سنيور منتانو. المعونة. نعم الحراس (يقرع جرس الخطر) من يقرع هذا الجرس قف. ستستيقظ المدينة. يا قوة الله. هدى غضبك أيها الملازم، ستلحق بنفسك عارًا خالداً.
- (يدخل عطيل يليه نفر من الحاشية)
- عطيل : ماذا يجرى هنا؟
- منتانو : تالله إن دمي ليسيل بلا انقطاع، وإنى لجريح جرح الموت.
- عطيل : كفا إن كنتما تأبهان ^(١) للحياة.
- ياجو : حسبك يا ملازم، حسبك يا منتانو، أنسيتما أين أنتما، وما يجب عليكما؟
- قفا؛ إن القائد يخاطبكما، اخجلا وقفا.
- عطيل : كفوا هذا القتال البربرى ومن اجترأ منكم أن يخطو خطوة بعد لشفاء غليله فنفه لا قيمة لها عنده وإنى لمورده حتفه لأول حراك يبد ومنه، أسكتوا هذا الجرس الذى يفزع الجزيرة ويوقظها فى هلع. ماذا يا سادة؟ أنت يا ياجو الأمين الذى شحبت ^(٢) شحوب الموت من الحزن، تكلم من البادئ بهذه الخصومة.
- ياجو : ما أدرى.. كانوا أصفياء منذ هنيهة كأصفى ما يكون العروسان حين يخلعان ملابسهما لدخول السرير فما شعرت إلا وكأن سيارة من السماء بذرت بينهما الشقاق فانتضيا سيفيهما وتهاجما ينتاخنان. كيف كان مبدأ هذه المباراة؟ لا أعرف. ولكننى كنت أود لو فُقدت ساقاى فى حرب شريفة

(١) تكثرثان.

(٢) تغير لونك.

ولم تحملانى إلى هذا المشهد.

عطيل

: أى شىء يا ميشيل أنساك الواجب إلى هذا الحد؟

كاسيو

: عفوك يا سيدى لا أستطيع التكلم.

عطيل

: يا منتانو الشريف أنت متعود اجتناب المزريات ^(١) وكنت فى أيام شبابك

ساكنًا وقورًا يجلك الناقدون الحازمون فما دعاك لإلقاء هذه الشبهة على سمعتك واستبدال لقب "معريد ليلى" بما كان لك من الكرامة العزيزة؟ أجبنى.

منتانو

: أى عطيل الشريف، لقد جرحت جرحًا موبقًا ^(٢) يجهدى معه الكلام وإن

ضابط ياجو ليقدر على إنباتك بكل ما أعلم. على أننى لم أقل الليلة ولم أفعل شيئًا ألام عليه، إلا إذا كان رفقنا بنفسنا فى بعض الأحيان عيبًا، وكان دفاعنا حين يعتدى علينا إثماً.

عطيل

: بالله العظيم لقد أخذ دمي يملك على جوانحي بدل الروية والتؤدة وطفق

الرجز يتغشى بصيرتى ويدفعنى إلى ما أكره، ولو خطوت خطوة أو حركت هذه الذراع لسقط خيركم يتخبط تحت غضبى. نبئونى كيف ابتدأت هذه الخصومة القبيحة ومن أثارها فلئن كان شقيقى وتوعى الذى ولد ساعة مولدى، لأقصينه عن نعمتى. يا عجبًا!! أيدار قتال فى موقع حربى لا يزال أهله فى تأثر شديد وخوف مرهق؟ ^(٣) ومت؟ فى ظلام الليل. وأين؟ بين فصيلة الحرس. إنه لأمر فظيع، أى ياجو من بدأ هذه الخصومة؟

منتانو

: إذا لم تقل الحقيقة مراعاة منك للصحة أو للمزاملة فلست بجندى.

ياجو

: لا تخرجونى بهذه القوة خير لى أن ينتزع لسانى من التقوى بلفظة تكدر

ميشيل كاسيو، غير أننى واثق من أن الذى سأذكره لا يضر به فتيلًا، فاسمع ما جرى أيها القائد: بينما كنا نتسامر أنا ومنتانو دخل رجل يستغيث وكاسيو متبعا إياه يريد ضربه بسيفه المسلول تنصدى هذا الشريف لكاسيو يلتمس منه العفو عنه، وتبعته أنا ذلك الرجل المستصرخ لمنعه من احتياج الأهلين بصيحاته كما فعل، على أن الرجل كان أسرع منى عدواً فما لبثت أن تركته، ورجعت، فإذا أنا بنصلتين تتلاقيان وتصلان وكاسيو يقذع ^(٤)

(١) المخجلات.

(٢) مميتًا.

(٣) شديد.

(٤) يسب.

بألفاظه قذعا ما سمعته منه قبل الآن، على أننى ما كدت أبلغهما حتى
كانا قد تركا النصلتين وشرعاً يتراكلان^(١)، ولا أقدر أن أقول شيئاً آخر عن
هذه المسألة غير أن الرجال إنما هم رجال وخيرهم قد يسهو ويخطئ، فلئن
كان كاسيو قد أهان هذا الرجل الكريم، ومع الغضب ربما ضرب الإنسان
أصدق الناس مودة له، فلا بد أن كاسيو قد لقي من الرجل الذى هرب إهانة
بشعة ذهبت بصبره.

عطيل : يا ياجو إن نزاهتك وصدافتك تحملانك على تلطيف الأمر ليكون أقل وقرأ
على كاسيو، ولكن اعلم يا كاسيو أننى أحبك وأنتك لن تكون ضابط أبداً
الدهر.

عطيل : انظروا إن حبيبتى وخالصة لى قد استيقظت بسبب الجلبة. (إلى كاسيو)
سأجعلك عبرة وعظة.

ديدمونه : ما الذى حدث؟

عطيل : كل شيء على ما يرام الآن يا حبيبتى، عودى إلى سريرك (إلى متانوا)
سأكون بنفسى آسى^(٢) جراحك، انقلوه (ينقل متانوا) اذهب يا ياجو وطف
المدينة وأمن الخائفين. تعالى يا ديديمونه. من حياة العسكرى أن يستيقظ
من منامه على جلبة القتال.

(يخرجون إلا كاسيو وياجو)

ياجو : ما بالك؟ أنت جريح يا ملازم؟

كاسيو : نعم وبغير شفاء .

ياجو : لا سمح الله .

كاسيو : سمعتى سمعتى، فقد الجزء الخالد منى. وبقيت البقية الحيوانية، سمعتى
ياجو، سمعتى!

ياجو : ظننت وأيم نزاھتى، أنك أصبت بجرح بدنى، ذلك أشد خطراً من الإصابة
بجرح فى السمعة، وما السمعة على الحقيقة إلا أكذوبة باطلة تتال فى
الأكثر بغير جدارة وتفقد لغير ما سبب. فلست بفائد سمعتك إلا إذا أذعت
أنك فقدتها. تنبه يا صاحبى. لا تزال لك وسيلة لاستعادة رضا القائد فقد

(١) يتضاربان بالأرجل.

(٢) الطبيب المداوى للجراح.

عزلك فى ساعة غضب لا عن سياسة ولا عن مكر بل كما يفعل الذى يضرب كلبه ولا يذنب، ليرهب أسداً هصوراً، استعطفه عليك بتعطف.

كاسيو : أفضل أن ألتمس من الناس تحقيرى على خديعة مثل هذا القائد العظيم بأن أعرض عليه أن يستعيد ضابطاً نزقاً سكيراً قليل الاحتراس فى هذا الحد.

ياجو : أنت وكل حى للسكر فى ساعة ما أيها الصديق. خدعنى الآن ما ينبغى لك عمله. إن امرأة قائدنا هى التى أصبحت قائدنا... لأنه قد انصرف كل الانصراف إلى تمتيع نظره وقلبه بمحاسنها ومكارم أخلاقها... فاذهب إليها وأقرر بذنبك صريحاً والتمس منها بالراح والحاف أن تعينك على العود إلى منصبك فلا تلبث أن تشفع لك عنده إذ أن سماحة فطرتها تجد من الرذيلة عدم الإجابة إلى أكثر مما يطلب منها.

كاسيو : أسديتتى خير نصيحة.

ياجو : كن واثقاً أنها نصيحة خاوص وحسن نية.

كاسيو : أنا واثق مما تقول وسأذهب من بكرة غد إلى ديدمونه الطاهرة وأبتهل إليها أن تتولى أمرى فإذا لم يسعدنى الحظ مع وساطتها فقدت كل رجاء.

ياجو : إنك لفى المنهاج السوى. طاب ليلك أيها الملازم. يجب أن أسهر فى العسس.

كاسيو : طاب ليلك أيها الصفى ياجو.

ياجو : هل لجرىء أن يزعم أننى أكر مكرّاً سيئاً حين أنصح نصيحة كهذه خالصة صريحة سهلة التحقيق لا وسيلة غيرها لكسر شرّة المغربى واستعطافه. أو هل أكون غداراً حيث أشير على كاسيو بالخطئة التى توصله تود إلى فائدته؟ إيه يا آلهة سقر متى أراد الزبانية ^(١) الإيعاز بأشنع الخطايا صوروها فى المبدأ بأبدع الصور السماوية كما أفعل الآن، لأنه بينما ذلك الأبله السليم الطوية يسعى لدى ديدمونه لاستعادة مكانته، وبينما هى تشفع له عند المغربى بقوة، أدس أنا فى أنن عطيل سم الريب فى حقها بما أدخله على قلبه من أن رقتها لكاسيو ليست عن مبرة ولكن عن شغف أثيم. بقدر ما تزداد إلحاحاً فى التماس الرأفة له يزداد تأييدها لسوء الظن بها عند المغربى، وهكذا أخذها فى فخ فضيلتها واستخرج من مروعتها الفخ الذى أوقعهم فيه جميعاً.

الفصل الثالث

المشهد الأول

[يدخل كاسيو وفصيلة موسيقارين]

كاسيو : أساتذتى اضرِبوا هنا، وسأكافنكم على ما تجيدون. اضرِبوا لحناً مختصراً
لتهنئة القائد بيومه السعيد.

(تعزف الموسيقى)

(يدخل المضحك)

المضحك : مهلاً يا أساتذتى. أذهبت معاً معارفكم ^(١) إلى نابلى ^(٢) فعادت منها بهذه
الغنة الأنفية.

موسيقى أول : ما قصدك يا سيدى؟ ما القصد؟

المضحك : هل هذه الآلات آلات هوائية؟

موسيقى أول : طبعاً يا سيدى.

المضحك : هذه نقود أرسلها القائد ويرغب إليكم ودياً أن تكفوا هذه الغوغاء.

موسيقى أول : سنمتنع يا سيدى.

المضحك : إن كنتم تعرفون أنعاماً لا تسمع فاضربوها. أما الموسيقى التى تسمع فالقائد
غير مولع بها.

موسيقى أول : ليست عندنا الموسيقى التى تشتهيها.

المضحك : إذن ضعوا زماميركم فى أكياسكم وانطلقوا لأننى ذاهب.

(يخرج الموسيقيون) تلاشوا فى الهواء تواروا

كاسيو : أرجو أن تحتبس مهاتراتك عنى. هذه قطعة ذهب ولى إليك رغبة: متى

استيقظت السيدة التى تخدم امرأة القائد فقل لها إن رجلاً يدعى كاسيو يود

أن تمنحه مقابلتها هنيئة... أتفعل؟

المضحك : لم يمض إلا دقيقة منذ هبطت عن سريرها، وسألقى إليها كلمة لتهبط إلى
هذا المكان إن أردت.

كاسيو : أفعل ذلك يا صاحبى العزيز

(يخرج المضحك)

(يدخل ياجو)

كاسيو : ياجو، جئت فى ميقات الحاجة إليك.

(١) آلات النفخ الموسيقية.

(٢) بلدة فى إيطاليا.

- ياجو : يلوح لى أنك لم تتم.
- كاسيو : طلع النهار قبل أن نفترق وقد اجتترأت أن أرسل فى طلب امرأتك رجاء أن تلتمس لى موعداً من الفاضلة بديمونه.
- ياجو : سأبعثها إليك حالاً، وأحاول بقاء المغربى بحيث تملكان الوقت الكافى للتكلم فيما لك من الشأن.
- كاسيو : شكراً لك جزيلاً (يخرج ياجو) لم أعرف قط فيورننتياً أمضى فى الخير وأشد وفاء.

(تدخل إميليا)

- إميليا : صبحك الله بخير أيها الملازم الكريم. أنا حزينة لما أحزنك، ولكن الأمر سيصلح كما أرجو، والقائد وامراته يتباحثان فى هذه المسألة. هى تدافع عنك بقوة، وهو يجيب أن الرجل الذى جرحته على السمعة فى قبرس وله قري موشوجة^(١) الأعراق بين كبراء الجزيرة فكان لا مندوحة له عن عزلك أو يخطئ الرأى، وإنه ما زال يحبك ولا يحتاج من الوصاة بك إلى ما يوحيه وده، فهو سيغتم أول فرصة تسنح لردك إلى مكانك.
- كاسيو : مع هذا أرجو منك إذا كان فى الإمكان أن تهينى لى اجتماعاً بديمونه أكلها فيه على حدة.
- إميليا : تقضل وابتعنى أبعلك فى موضع تخاطبها فيه براحة وصراحة.
- كاسيو : هذه منة عظيمة.

المشهد الثانى

مسكن فى القصر

[يدخل عطيل وياجو ووجهاء]

- عطيل : ادفع هذه الوسائل إلى الملاح يا ياجو وليحمل إلى مجلس الأعيان سلامى. بعد هذا أنا ذاهب للتنزه ومشاهدة أعمال التحصين فمتى عدت فالقنى هناك.
- ياجو : سأفعل يا سيدى الكريم.
- عطيل : والآن أيها السيدة أنمضى لنرى المعازل؟

الوجهاء

: سمعاً وطاعة.

(يخرجون)

obeikandi.com

المشهد الثالث

فى القصر

[تدخل ديدمونه وكاسيو وإميليا]

- ديدمونه : ثق يا عزيز كاسيو أننى سأبذل جهدى لخدمتك.
- إميليا : افعلى مشكورة يا سيدتى فإن زوجى شديد التألم لهذا المصاب كأنه مصابه.
- ديدمونه : نعم الفتى الوفى! لا ترتب يا كاسيو أننى سأعيد الصداقة بينك وبين قرينى كما كانت قبلاً.
- كاسيو : يا سيدتى الكريمة مهما ينته إليه أمر ميشيل كاسيو فإنه إلى آخر الدهر خادمك الأمين.
- ديدمونه : أعتقد هذا وأحمدك عليه. أنت تحب مولاي وتعرفه من عهد طويل، فلا تحسب أنه يدعك مقصياً عنه إلا مهلة ما تقتضيه السياسة.
- كاسيو : أجل يا سيدتى ولكن هذه السياسة قد يطول أجلها، وقد يتخللها من المعاذير التفاهة الأسباب والارتباكات التى يجىء بها تحول الأحوال مدة انصرافى عن منصبى وحلول غير محلى، ما ينسى قائدى خلوص حبى له وسوابق خدمى.
- ديدمونه : لا تداخلك هذه الخشية. أضمن لك منصبك بشهادة إميليا وأيقن أننى متى وعدت وعداً ودياً وفيت به إلى آخر حرف منه. سأظل ملحة على مولاي مكررة لديه التماسى حتى أرده عن جماعه، بل سأجعل فراشه شبه مدرسة، ومائدته شبه خلوة للاعتراف، وأدخل فى كل مشاغله طلب كاسيو، ذلك لأن محاميك يؤثر الموت على ترك قضيتك.
- إميليا : سيدتى هذا سيدى قادماً.
- كاسيو : سيدتى إنك بالانصراف
- ديدمونه : امكث واسمع ما أقوله له.
- كاسيو : الآن لا، يا سيدتى، لأننى فى أشد الانزعاج وغير كفء لخدمة مصلحتى.
- ديدمونه : افعلى ما تستصوب.
- ياجو : أف ما أحب هذا.
- عطيل : ماذا تقول؟
- ياجو : لا شىء يا سيدى.. أو.. لا شىء.
- عطيل : ألم يكن كاسيو هذا الذى فارق امرأتى الساعة؟

- ياجو : كاسيو يا سيدى؟ يقينًا لا، ما أظن... لو كان هو ما فر فرار المجرم حين
رآك مقبلًا.
- عطيل : أظنه إياه.
- ديدمونه : كنت يا سيدى أخاطب ذا حاجة. رجلًا حزينًا فى الغاية لانصرافك عنه.
- عطيل : من تعنين؟
- ديدمونه : ملازمك كاسيو، أى سيدى لئن كانت لى حُظوة فى عينيك وقدرة على
استعطافك إن رجائى أن تتفضل عليه وتصفح عنه لأنه رجل صادق
الحب لك. وإنما أخطأ عن جهل لا عن عمد وإلا خابت فراستى فى وجوه
الأوفياء. أبتهل أن تعيده إلى منصبه.
- عطيل : أهو الذى كان منصرفًا من هنا؟
- ديدمونه : نعم هو. وكان كئيبيًا كآبة تركت فى نفسى أثرًا من حزنه وشطرًا من ألمه.
يا حبيبى ناشدتك غرامنا إلا ما أرجعته.
- عطيل : الآن لا، يا ديدمونتى الرقيقة، ولكن فى وقت آخر.
- ديدمونه : أياكون هذا الوقت الآخر قريبًا؟
- عطيل : أقرب ما يكون إكرامًا لك يا عزيزتى.
- ديدمونه : أعلى العشاء الليلة؟
- عطيل : الليلة؟ لا.
- ديدمونه : أغدًا الظهر؟
- عطيل : لن أتعدى فى البيت غدًا لأننى سألحق بالضباط إلى القلعة.
- ديدمونه : إذن غدًا مساء أو الثلاثاء ظهرًا أو الأربعاء صباحًا.. أتوسل إليك أن تعين
الميعات ولا يزد عن ثلاثة أيام.... إنه وذمتى لنادم على خطيئته وهى فى
رأى الأكثرين ليست من الخطايا التى تستلزم أدنى ملام إلا إذا صدقت
قاعدة القائلين بأنه يجب فى الحرب تأديب الأمثلين ليعتبر سواهم بهم.
متى يعود؟ قل لى يا عطيل، إننى لأسائل ضمير عن شىء تطلبه منى
ولا أحبيك إليه أو أتردد فى الإجابة. عجبًا أميشيل كاسيو الذى كان أمين
سرنا فى غرامنا وكان يدافع لى عنك حين أذكرك بغير ما يعجبه ينبغى
لى أن اشفع له بكل هذا الإلحاف لتصفح عنه... ما كان أسرعى لإجابتك
إلى أقصى الرغائب لو بدت لى منك إشارة.
- عطيل : كفى وحياتك... ليعد حين يشاء... لا أمنع لك سؤالًا.
- ديدمونه : على أن عوده لا يعد إحسانًا مذكورًا. سألتك إياه كما أسألك أن تلبس

قفازيك^(١) أو تتغذى بطعام أو تستدفئ من برد أو تفعل أى فعل يفيد صحتك، لكن علمت الآن أننى إذا جدت لى عندك أمنية كانت تلك الأمنية عظيمة الشأن صعبة التحقيق.

- عطيل : لن أرد لك أمنية فكونى متفضلة وامنحىنى هنة أخلو فيها بنفسى.
- ديدمونه : أكنت رادة لك أمرًا. لا... إلى الملتقى يا مولاي.
- عطيل : سأوافيك من غير إبطاء.
- ديدمونه : تعالى إميليّا. افعل ما يوحىه إليك الضمير. مهمّا تشأ فإننى خاضعة.
- عطيل : يا لها من شاطرة آخذه بالألباب. أحبك لو سامنى حبك عذاب الآخرة. فإذا انصرفت عن هواك يومًا... فهناك تعاودنى الفوضى والظلمات.
- ياجو : أى مولاي الشريف.
- عطيل : ماذا تقول ياجو؟
- ياجو : أكان ميشيل كاسيو يعرف غرامكما.
- عطيل : عرفه من مبدئه إلى نهايته. لم هذا السؤال؟
- ياجو : إرضاء لفكرى لا لشيء آخر ذى بال.
- عطيل : وما فكرك؟
- ياجو : كنت لا أتخيل أنه يعرف ما دار بينكما.
- عطيل : بلى وكان يتوسط بيننا أحيانًا.
- ياجو : أحقًا؟
- عطيل : أحقًا؟ نعم حقًا. ما ترى تحت هذا؟ أليس وفيًا؟
- ياجو : وفى يا مولاي.
- عطيل : وفى. بل وفى.
- ياجو : وفى يا سيدى إلى غاية ما أعلمه.
- عطيل : صرح عما فى ضميرك.
- ياجو : عما فى ضمير يا مولاي؟
- عطيل : عما فى ضميرى يا مولاي، بالله إنه ليجيبنى كرجع الصدى كأن فى طويته شيئًا أبشع من أن يكشف عنه النقاب... تضمّر أمرًا ولا تبديه. ولقد سمعتك تقول: "أف ما أحب هذا" عندما كان كاسيو يفارق امرأتى. ثم لما أخبرتك أنه كان مطلعًا على أسرار غرامنا سبق لسانك فكرك وقلت: "أحقًا"

(١) ما يكسى به الكفان لاتقاء البرد.

ثم انقبضت أهداب عينيك وتضامت كحوافي الكيس كأنك أردت أن تخبئ
فى دماغك سرًا رهيبًا. إن كنت لى محبًا فكاشفنى بما تضرر.

ياجو

: مولأى تعلم أننى لك محب.

عطيل

: أعتقد وذك وبقدر ما أعرف من أنك مفعم ولاءً ونزاهة وأنك تزن كلماتك

قبل النطق بها فتوقفاتك فى الحديث أشد موقعًا منى لأن أمثال هذه
المحاذرات إنما تكون مراوغات مألوفة عند اللئيم الخبيث الكنوب كما أنها
تكون عند الرجل الصالح مكاشفات مبرقة تخرج من صدر لم يملك تأثيره.

ياجو

: أجرؤ على الإقسام بأن ميشيل كاسيو وفى كما أعتقد.

عطيل

: وكذلك أعتقد.

: كان يجب أن يكون الناس كما تتبى عنهم ظواهرهم. بل ليت الذى خلقهم
لم يجعل للمنافقين أشباهًا.

ياجو

: يقين أن الرجال يجب أن يكونوا كما تتبى عنهم ظواهرهم.

عطيل

: ولهذا أظن أن كاسيو صادق الولاء.

ياجو

: لا. عندك ههنا أكثر مما تبوح به. فرجائى أن تظهر لى خواطرك كما
تجلبها فى خفائك وأن تلبس القبيحة منها أقبح الألفاظ.

عطيل

: عفوك يا سيدى الكريم أنا مكلف كل عمل قويم تقتضيه الطاعة ولكننى
غير مكلف ما أعفى منه الأرقاء. أظهارًا لضمائرى وقد يكون منها ما هو
دنىء ومنها ما هو زور؟... أى قصد لا تدخله بعض المكارة فى بعض
الآونة؟ وهل فى الناس من طهر قلبه حتى لا تداخله الريب المستهجنة
وتعتقد فيه أحيانًا محاكمها القانونية بجانب الأفكار النقية؟

ياجو

: ياجو إذا ظننت أن صديقك مهان ولم تطلعه على ما فى طويتك فأنت من
المتأمرين عليه.

عطيل

: قد يكون ظنى إثمًا وأقرّ بين يديك أن من طبيعتى الرديئة إساءة الظن
واختلاق خطايا قد لا تكون.. فأتضرع إليك أن تصون حكمتك عن الأخذ
بمزاعم رجل كثير الخطل فى تصوره وأن تبني صرحًا من الأوهام المزعجة
على أساس غير متين من ملاحظاته الناقصة فلا فائدة لك من جهة
اطمئنانك وصفائك ولا لى من حيث شرفى الرجلى ونزاهتى وعقلى أن،
تتطلع على خفايا فكرى .

ياجو

: ما مرادك هذا؟

عطيل

: حسن السمعة للرجل والمرأة يا سيدى العزيز أثنى جوهرة من حلى النفس.

ياجو

من يسرق كيس نقودى يسرق شيئاً زرياً كان لى وأصبح له وكان قبلنا
لألوف آخرين أما الذى يسرق حسن سمعتى فمختلس شيئاً لا يغنيه
ويجعلنى فقيراً جهد الفقر.

عطيل

: وأيم السماء لأعرفن أفكارك.

: لن تعرفها ولو كان قلبى فى يدك فهل تصل إليها وذلك القلب فى
حراستى؟

ياجو

: آهًا.

عطيل

: أى مولاي احذر الغيرة. تلك الخليقة الشرهاء ذات العيون الخضراء التى
تسخر مما تتغذى به من لحوم الناس. الرجل الذى يتلم عرضه فيعرف
مصابه ويكره جالبه عليه سعيد، سعيد بجانب ذلك الذى يقضى الدقائق
الجهنمية شغفًا، إلا أنه مستريب. عاشقًا أشد العشق، ولكن تساوره
الشكوك.

ياجو

: يا للشفاء.

عطيل

: الفقر مع القناعة غنى بلا جاه عريض. أما النعم التى لا تحصى فتكون
فقرًا عقيمًا عقم الشتاء البارد الذى يخشى أبدًا أن يصبح معسرًا. اللهم ياذا
الراحم أعف من الغيرة نفوس أمثالى.

ياجو

: لمَ لمَ كل هذا؟ أنظن أننى سأعيش هذه العيشة مغيرًا ظنوني كلما تغير
هال. كلا. متى نفذ الريب ثبتت النفس على حالة معه. تبدل منى بتيس
فطبع يوم أدع نفسى بين أيدي الشبه التى تحدثها كل دسياسة. أنا لا تستفز
غيرتى بأن يقال لى إن امرأتى جميلة وإنها لطيفة المحاضرة وإنها تحب
المعاشرة وإنها طليقة النفس فى أحاديثها وتغنى وتلعب وتحسن الرقص.
كل هذه الأفعال تكون فاضلة متى كانت المرأة فاضلة. ثم إننى من جهة
أخرى لا أخشى أدنى خشية منها ولا يخالجنى أيسر ظن سىء بها من
جهة أننى فاقد المحاسن لأنها إنما اختارتنى ولها عيان مبصرتان نظرتنى
بهما. لا لا.... وما أنا بمرتاب حتى أرى فإذا ارتبت فحتم أن أثبت مما
يداخلنى من الظنون وإذا وضح لى البرهان بعد ذلك فيومئذ فرأى خالدا إما
للحب وإما للغيرة.

عطيل

: يسرنى عزمك هذا بأنه يمكننى الآن من توكيد حبى لك وتجلتى. وعليه
يقتضىنى الواجب أن أقدم إليك نصيحة - وبعدها يجىء وقت البرهان -
راقب جيدًا ما يكون من امرأتك ومن كاسيو... استعمل عينيك من غير

ياجو

إساءة ظن، إذ لا أحب أن تتخذ فطرتك الشريفة الحرة بسماحتها. أنا عليم بطبائع بلادى، والنساء فى البنديقية يظهرن من أحوالهن على مشهد من الملاء ما لا يجرون أن يظهرنه لبعولتهن فالذمة عندهن لا أن يمتنعن عما يشتهين ولكن أن يخفينه.

عطيل

: أجد ما تقول؟

: غشت أباهما بتزوجها منك ولم تكن أشد هياماً بك منها حين كانت ترتجف مهابة من نظراتك.

ياجو

عطيل

: هو حقيقة ما بدا لى منها.

: فعليك والحالة هذه أن تستنبح القياس العقلى: إن التى استطاعت وهى فى أنضر الصبا أن تخفى ما بها عن أبيها إخفاءً تركت معه عينيه أشد إقفالاً من لباب السند يانة... التى غافلتها حتى اتهم بها السحر... صفحاً يا سيدي... إنى لملموم وإياك أستغفر عن فرط هذا الخلوص فى ولائى لك.

ياجو

عطيل

: لن أنسى لك هذه المنة مدى الدهر.

: ألمح أن كلماتى قد شغلت من بالك.

ياجو

عطيل

: البتة...

: بل أجد أنها نالت منك وأحزنتك بغير ما قصدته منها وإنما أنطقنى بها الولاء، لكن أراك واجماً^(١) فيتعين على أن ألتمس منك أمراً وهو أن لا تعطى تلك الكلمات معنى أبعد ونتيجة أوسع مما يعطاه مجرد الريب.

ياجو

عطيل

: سأفعل.

: إذا تماديت فى التأويل يا سيدي أصابت أقوالى من المرمى مالا أحبه. إن كاسيو لصديقى. أى مولاي أراك مضطرباً.

ياجو

عطيل

: بعض الشيء. أعتقد أن ديمونه عفيفة على كل حال.

: أطال الله بقاءها وهى كما تعتقد وأطال بقاءك على هذا الظن الحسن بها.

ياجو

عطيل

: غير أن الطبيعة قد تضل السبيل.

: وهذا هو محور المسألة وبناءً عليه أزداد جرأة معك فأقول إن فى امرأة تأبى من يعرض عليها من الخطاب المتعدين الذين هم من بلادها ولونها ومقامها مع أن الطبع يدفعها إلى إيثار أمثالهم، لدليلاً على نفس فاسدة وميول غير متناسبة وأفكار مخالفة للفطرة. لكن سامحنى فما أذكر هذا

ياجو

(١) شديد الحزن مع سكون.

لأخصها به غير أنني أخشى أن تراجعها نفسها مراجعة يتلخص فيها رأيها من أسباب الهيام فتقابل بينك وبين أبناء موطنها فتندم.

عطيل : انصرف بسلام وإذا رأيت شيئاً بعد فزنى علماً ولتقرب امرأتك ما يكون. إليك عنى ^(١) الآن.

ياجو : مولاي أستاذن. (يتظاهر بالانصراف)

عطيل : ما الذى حملنى على الزواج، هذا الإنسان الوفى يرى ويعلم بلا مرء أكثر مما يبدى.

ياجو (متراجعاً) : مولاي أود لو أن ذاتك المبجلة لا تتعمق فى تنقيب هذه المسألة بل تدع ذلك للوقت إذ أن الوقت يظهر المخبات بأدق مهارة. ومع ذلك إذا بدا لك أن تبقى الرجل مقصياً إلى حين، تسنى أن تستبطن سرائره وتعرف وسائله. ثم انظر ما إذا كانت امرأتك تلج لإرجاعه بشدة وحماسه. ففى هذه الأحوال ما فيها من الأدلة. ومهما يكن مما أسلفته فاجعل أساس الرأى أننى أفرطت فى الحرص عليك إفراطاً هو من معاييى، هذا مع التضرع إلى ذاتك المبجلة بأن تعدها بريئة.

عطيل : أثق أننى سأملك نفسى.

ياجو : أستاذن مرة ثانية (ينصرف)

عطيل : هذا الفتى وفى النهاية ويستكشف يفكر نير جميع الطوايا البشرية. لو كانت تلك المرأة بازياً ^(٢) عالقة به ألياف قلبى لأطلقته وتركته تحت العواصف يبحث عن صيد يتصيد. لعلها مالت إلى غيرى لأننى أسود وليس فى كلامى من الرقة والترويق ما فى كلام أولئك المتحذلقين المختلفين إلى القصور أو لأننى فى أول مهبط السنين على كون هذا التقدم فى السن لا يظهره شىء منى. لقد انفصلت عنى وخذعتنى ولم تبق لى تعزية إلا أن أبغضها - أواه من خيبة الزواج - أنتوهم أننا مالكون لهذه الخلائق الضعيفة حيث لا سلطان لنا إلا على شهواتها؟ لأؤثر أن أكون صرصاراً يعيش من أبخرة السجن على ترك جزء من الشىء الذى أحبه لمتاع الآخرين. ولكن من ههنا تتبعث اللعنة التى يعيش فيها الكبراء فهم أسوأ حظاً من السوق، كأن الإصابة بالعرض قد حتمت عليهم تحميم الموت.

(١) ابتعد عنى.

(٢) الطائر الصياد.

وبلاه من ذلك الخطب الناطح بقرنيه الذى يقدر علينا منذ الميلاد. هذه
ديدمونه آتية. لئن كانت غادرة لقد آمنت أن السماء تسخر من نفسها. لا.
لا أعتقد فيها الغدر.

(تعود ديدمونه وإميليا)

ديدمونه : بحياتك ماذا يجرى أيها العزيز؟ إن ضيوفك من أعيان الجزيرة لمنتظرونك
والغذاء مهياً.

عطيل : على الملام.

ديدمونه : ما لك تتكلم بهذا الصوت الضعيف. أنتشعر بألم؟

عطيل : عندى ألم فى الجبين هنا.

ديدمونه : هذا من فرط السهر ولكن سيزول حالاً. دعنى أعصب رأسك بشدة وبعد
ساعة تكون معافى.

عطيل : إن مندليك لأصغر من أن يعصبنى (ينزع المنديل عن رأسه فيسقط إلى
الأرض ولا تنتبه له ديدمونه) خلى عنك هذا. تقدمى وأنا متبع.

إميليا : بى حزن من ألمك (يخرج عطيل وديدمونه) إنى فرحة بوجد ان هذا
المنديل هو أول تذكار أهداه المغربى إليها وزوجى الغريب الأطوار قد
لاطفنى كثيراً وسألنى أن أسرقه له. غير أنها تحب هذه الهدية حباً جماً.
لأن عطيلاً أوصاها ملحاً بالاحتفاظ بها أبداً، ولهذا هى تحملها بلا انقطاع
وتقبلها وتخاطبها. سأستصنع مندبلاً على هذا المثل فأعطيه. ياجو ليعمل
به ما يشاء مم يعلمه الله ولست أعلمه وغاية مرامى إنما هى إجابة سؤله
(يعود ياجو)

ياجو : ماذا وقوفك هنا منفردة؟

إميليا : لا تعنفنى. عندى لك شىء ما.

ياجو : شىء لى. إنه لشىء شائع.

إميليا : أواه.

ياجو : شائع أن تكون للرجل امرأة حمقاء.

إميليا : أهذا كل ما عندك؟ ماذا تعطينى بدلاً من هذا المنديل؟

ياجو : أى منديل؟

إميليا : أى منديل!! ذلك الذى كان أول هدية من المغربى لديدمونه والذى طالما
سألتنى أن أخنته.

ياجو : أسرقته؟

إميليا

: لا وإنما سقط منها سهوًا بحضورى فالتقطته وها هو ذا. أنظر.

ياجو

: نعم ابنه أنت! أعطني إياه.

إميليا

: ما تتوى فعله به وقد ألححت على ذلك الإلحاح باختلاسه؟

ياجو (مختطفًا منها)

: أيعنيك هذا؟

(المنديل)

إميليا

: إذا لم يكن منه مقصد ذو بال فأعده لى فإن تلك السيدة المسكينة سيصيبها
مس إذا فقدته فلم تجده.

ياجو

: احذرى أن يظن بك وأنا فى حاجة إليه. اذهبى ودعيني (تخرج إميليا)
سأطرح هذا المنديل فى مسكن كاسيو بحيث يجده. أمثال هذا الشىء التافه
أفعل فى الغيور من تحقیقات الكتب المقدسة وربما جر هذا المنديل أمرًا.
المغربى آخذ بالتغير من تأثير سمي على أن العقاقير الخطرة هى
بطبيعتها سمّام أو طمعها غير كريمة، ولكن متى ابتدأ فعلها فى الدم أحرقت
إحراق مناجم الكبريت.. ها هو ذا قادم، لا الخشخاش ولا غيره من
المركبات القوية يعيد إليك بعد الآن المنام الهادئ الذى كنت تتامه أمس
(يعود عطيل)

عطيل

: أها أها، أجدّها تورائنى.

ياجو

: حسبك يا سيدى لا تفكر فى هذا بعد.

عطيل

: وراء إليك عنى. لقد مددتنى على خشب التعذيب. أقسمت أنه خير
للإنسان أن يخدع كثيرًا من أن يعلم بخديعته قليلًا.

ياجو

: ما بك يا مولاي؟

عطيل

: أى إحساس كان يخامرنى فى تلك الساعات الغرامية التى خالست بها
النعيم. لم أكن لأظن هذه الظة ولا لأخطرها على بالى وكنت لا أتألم. فى
الليلة المنصرمة نمت مستقرًا وبى فرح وسكينة فكر ولم استكشف على
شفتيها قبل كاسيو. لا ينبغى إبلاغ الذى سرق له شىء أنه سرق فإذا لم
يفتقده فكأنه لم يختلس منه شىء البتة.

ياجو

: يحزننى ما أسمع

عطيل

: لكان يسرنى أن يتمتع الجنود كلهم ومعهم أعوانهم الصبيان بجسمها الرقيق
على أن لا أعلم. أما الآن ففراقًا أبدى لراحة النفس. فراقًا للسرور. فراقًا
للكتاب التى تزدهى خوذها بالريش الناصع. وللحروب الكبيرة التى تجعل
الطمع فضيلة. أواه. فراقًا للخيل الصاهلة وللبلوق العزاف وللطبل الذى

يشب حرارة النفس وللمزمار الذى يصفر فى الأذن وللرايات الملكية ولسائر
الأشياء التى تنجم عنها الكبرياء والعظمة والمفاخر الحربية. وأنت أيتها
الآلات المهلكة التى تحاكى بالإرصادات الخارجة من أفواهها الهدّادة
صياحات النشور وداعًا وداعًا إن حياة عطيل قد انتهت.

- ياجو : أهذا ممكن يا مولاي؟
- عطيل : أيها النمام الواشى جننى بما يثبت أن حبيبتي مومس... لا تبطئ. أرنى
بعينى وإلا (يقبض على عنقه) حلفت بقيمة النفس الخالدة ليكون خيراً لك
أن تكون مخلوقاً كلباً من أن تلقى هبة رجزى.
- ياجو : أوصلت الأمور إلى هذا الحد؟
- عطيل : أرنى بعينى أو أيد لى برهانك بحيث لا يفوتك ذكر جزئية أو حالة مما
يعلق به الريب وإلا فتباً لحياتك.
- ياجو : أى مولاي الشريف.
- عطيل : إن كنت قد فعلت لتسبى ظنى بها وتعذبني فلا تُصلِّ بعد الآن بتاتاً.
أخرج عن إنسانيتك بالمرّة. راكم فظائع فوق فظائع. ارتكب جرائم تبكى
منها السماء وتقضى لها الأرض عجباً لأنك لا تستزيد فى يوم الله شيئاً
على ما ستتاله من العقاب الذى يفوق كل هذا.
- ياجو : يا لرحمة الله. يا للسماء سامحيني. هل أنت رجل - هل لك نفس أو
إحساس. أعانك الله. أقلنى من خدمتى. ويحى من حقير أبله جعل وفاءه
ذنّباً له. ويل لهذه الدنيا الخوون. أعلمى اعلمى يا دنيا ما أخيب الأمانة،
وما أعذر الاستقامة - حمداً لك على هذه العظة وأبى الله بعدها أن أحب
حبيباً ما دام الولاء جلاباً لمنل هذه المهانات.
- عطيل : لا، أقم، كان يجب أن تكون وفيّاً.
- ياجو : كان يجب أن أكون حكيماً لأن الأمانة حمقاء ومضيعة للمثوبات.
- عطيل : والعالمين إننى لأعتقد طهارة امرأتى ثم لأعتقد أنها غير طاهرة. بل أظن
أنك صادق ثم أظن أنك غير صادق ، لابد لى من برهان، إن اسمها كان
أنصع من وجه ديانا فأصبح الآن أقتم أسود كوجهى - لئن كان فى الدنيا
حبال. خناجر. سموم. نار. أنهار تغرق فلست بمحتمل هذا. ما أظمأنى
إلى ترضية نفسى.
- ياجو : أجد يا سيدى أن الغرام يغولك وأندم على ما ألحقته بك من الأذى، أفتريد
البرهان؟

عطيل

: أأريد؟! نعم أريد.

ياجو

: ذلك إليك. ولكن كيف تريد أن أحيئك بهذه الترضية يا سيدى. أتبتغى منى

شاهدًا يقف جامدًا مفتوح الفم يتقرس فيها وهى مع الرجل.

عطيل

: موت وهلاك. أواه.

ياجو

: يصعب علينا فيما أظن أن نحتال عليهما بحيث يؤخذان على الشكل بل

من المستحيل أن يراهما على فراش واحد غير الشيطان. وعلى هذا... فما

تكون الترضية حيث لا يحتمل أن يظهر لأحد بها المظهر ولو كانا أفسق

من تيسين وأحمى من فردين وأشد قحة فى البهيمية من ذئبين وأقل احتراسًا

وحذرًا من غبيين مخمورين. أما إذا كان الاستنتاج من وقائع واضحة

الدلالة موصلة إلى أبواب الحقيقة كافيًا لما تشاء من الترضية فالترضية

بين يديك.

عطيل

: أعطنى برهانًا حسيًا أنها زانية

ياجو

: قبحت من خدمة. ولكن بما أننى جريت هذا الشوط البعيد فى المكاشفة

مندفعًا بدافع الجنون الذى ابتلتنى به الصداقة والنزاهة فإننى لأزيدك بيانًا.

كنت بائنًا منذ ليال مع كاسيو وبى ألم فى الأسنان أرقنى لشدته فلما

انقضى الهزيع الأول تبينت أن كاسيو يرى حلمًا. ومن الناس أفراد خلقت

نفوسهم على غير الكتمان فيذكرون شؤونهم فى منامهم.... ومنهم

صاحبى.. سمعته يقول وهو مستغرق فى رؤياه: "حبيبتي الجميلة يديمونه

لنكن حذرين ولنخف غرامنا"... وحينئذ يا سيدى أمسك بيدي يشدها

وبصيح: "يا لك من حسناء شهية" ثم طفق يلثمى بقوة كأنه كان يود أن

يقنطع القبل النابتة على شفتيها من أصولها ثم ألقى بساقه على فخذى

وتتهد واعتنقنى ثم صاح: "لعن الله الحظ الذى وهبك للمغربى"

عطيل

: فظيع فظيع...

ياجو

: لم يكن إلا حلمًا...

عطيل

: بل ولكنه جاء دليلاً على شىء تم سابقاً، وإنه لدليل قاطع على كونه

منامًا.

ياجو

: وبه تتعزز البراهين السالفة التى تظهر واهية.

عطيل

: سأمزقها تمزيقًا.

ياجو

: بلا ريب ولكن كنت متئدًا إذا أننا لم نر بعد أمرًا تم وقد تكون عفيفة. بقى

أن تقول لى شىءًا ذا بال. ألم تر قط فى يد امرأتك منديلًا عليه رسم

الشليك.

عطيل : أعطيتها منديلاً بهذا الرسم وهو أول ما أهديته إليها.
ياجو : أول ما أهديته إليها أو آخره ولا أعلم. غير أنني رأيت منديلاً من هذا الشكل - وأعتقد أنه لها - بيد كاسيو وكان يمسح به لحيته فى هذا الصباح.

عطيل : إن كان هو منديلى...
ياجو : إن كان هو الذى تعنيه أو آخر مما تملكه فيه ما ينطق بذنبها تعزيزاً لما تقدم من البراهين.

عطيل : ويلاه. علام لا يكون لذلك الشحاذ أربعون ألفاً من الأعمار. إن عمراً واحداً دون الكفاية لانتقامى. الآن تبين أنى فى الحق زانية... انظر ياجو، هذه نفخة أصعد بها إلى السماء ذلك الغرام النارى، لقد ذهب. يا أيها الانتقام المدلهم ارتفع من أعمال جهنم، ويا أيها الحب تنازل لاستبداد الغضب. عن تاجك وعرش قلبى، ويا أيها الصدر ارجح تحت حملك فإنما حملك من السنة الأفاعى.

ياجو : لابد لك من التمالك.
عطيل : دماً دماً دماً.
ياجو : تحمل، تجلد، وربما تغيرك شعورك.

عطيل : لن يتغير... أعرفت كيف تجرى التيارات القارسة الجامعة من مبعثها فى بحر البنط^(١) إلى مستقرها فى بحر الظلمات لا يردّها الجزر بل تتطلق إلى غايتها فى منهاج قويم كذلك عزائمى النضاحة بالدماء قد اندفعت إلى الأمام بقوة ولن ترجع إلى الوراء، لن تعود إلى حمتى ذلك الغرام الوديع، بل تستمر فى سيرها حتى تغور جميعها فى انتقام عظيم على قدر الإهانة. الآن وجب على بحق تلك السماء المرمية التى أراها هناك أن أثبت وعيدى بحيث أجعل تحقيقه خروجاً من يمين مقدسة (يجثو)

ياجو : لا تنهض (يجثو أيضاً) اشهدى أيتها الأنوار التى تتأجج فى عل سرمداً وأنت أيتها العناصر المحيطة بنا من كل جانب، اشهدى أن ياجو يستخدم لإنصاف عطيل مما لحق به من العار عقله وقلبه ويده، ليأمر عطيل

(١) خص هذا البحر بالذكر لأن تياراته تندفع ولا تعود.

ومهما يكن ما يكلفنى إياه عملاً دموياً موبقاً فإننى لفاعله بعقيدة أنه فعل
وفاء ورحمة.

: أنلقى هذا العهد الودى منك لا بكلمات شكر فارغة بل بقبول حسن من
قلبى. وإنى لمختبر قسمك حالاً.. أخبرنى إلى ثلاثة أيام إن كان كاسيو
قتل.

عطيل

: لقد هلك صاحبى وهو أمر مقضى بناء على إشارتك ولكن لتعش هى.
: لتفترسها النار، تلك البغى الخبيثة. لتفترسها النار. تعال معى إلى مكان
ننفرد فيه لأبحث عن ميتة سريعة لتلك الجنية الجميلة. كن ملازماً منذ
الساعة.

ياجو

عطيل

المشهد الرابع

تجاه القصر

[تدخل ديدمونه وإميليا والمضحك]

- ديدمونه : أتعلم يا هزأة أين مسكن كاسيو؟
- المضحك : لا أجسر أن أقول إن له مسكنًا.
- ديدمونه : لم أيها الصاحب؟
- المضحك : لأنه عسكري ومن قال لعسكري إن له مسكنًا تعرض لخنجره.
- ديدمونه : غريب! وأين يقيم؟
- المضحك : لو أخبرتك أن يقيم لأخبرتك أين أكذب.
- ديدمونه : أيمكن تصيد معنى الكلمات؟
- المضحك : لا أعلم أين يقطن فإذا اخترعت له مسكنًا عدت ذلك افتراءً خارجًا من حلقى.
- ديدمونه : أتستطيع السؤال عنه ومعرفته؟
- المضحك : سأذهب بشيرًا ونذيرًا في شأنه بمعنى أننى سألقى أسئلة على الناس ثم أجيبك بما يقولون.
- ديدمونه : ابحث عنه، مرة أن يحضر، قل له إننى شفعت فيه لدى مولاي وأرجو أن تقضى حاجته.
- المضحك : فعل هذا مما قد يسعه عقل الإنسان ولهذا سأحاوله
- (يخرج)
- ديدمونه : أين تظنين أننى فقدت هذا المنديل يا إميليا.
- إميليا : لا أدري يا سيدتى.
- ديدمونه : كان أهون على أن أفقد كيس نقودى ملآن قطعًا ذهبية من فقده لأنه لو لم يكن سيدى الشريف عادل الضمير خليًا من دناءات الغيرة لكان ذلك مما يثيره عند الظنون السيئة.
- إميليا : أليس غيورًا؟
- ديدمونه : من..؟ هو..؟ أظن الشمس التى ولد تحتها أجفت عنده أمثال هذه الوبالات.
- إميليا : انظرى. ها هو ذا مقبل.

- ديدمونه : سأعيد الكرة عليه الآن ولست تاركته حتى يصفح عن كاسيو
- (يدخل عطيل)
- ديدمونه : كيف حالك يا سيدى؟
- عطيل : على المرام يا سيدتى الكريمة. ما أصعب المراءاة. وكيف أنت يا ديدمونه؟
- ديدمونه : كما تحب يا سيدى.
- عطيل : هاتى يدك. هذه اليد نضيرة يا سيدتى.
- ديدمونه : لم تشعر بعد بالسنين ولا بالحزن.
- عطيل : تدل على قلب غنى وسمح، يدك دافئة. دافئة ونضيرة. ما أحوجهما إلى الحجب فى دير والصيام والصلاة وضروب كثيرة من أعمال التوبة والتقوى ذلك لأن هناك شيطاناً فتياً سريع العرق قريب الثوران. إنها ليد طيبة وحررة.
- ديدمونه : يحق لك تقييظها لأنها هى التى أعطتك قلبى.
- عطيل : كرم بها من يد. قبلاً كانت القلوب تعطى الأيدى أما الاصطلاح الحادث الآن فأن تعطى الأيدى القلوب.
- ديدمونه : لا كلام عندى فى هذا المعنى فلاسلك عما أنت فاعل بوعدك
- عطيل : أى وعد يا دجاجتى؟
- ديدمونه : أرسلت أستاذعى كاسيو لقائك.
- عطيل : بى زكام عنيف ثقيل يزعجنى. أعيرينى مندليك.
- ديدمونه : ها هو ذا يا سيدى.
- عطيل : أريد الذى أهديته إليك.
- ديدمونه : ليس معى.
- عطيل : لا...
- ديدمونه : لا يا سيدى.
- عطيل : هذه غلطة. إن ذلك المنديل وهبته امرأة مصرية لأمى وكانت تلك المصرية ساحرة تكاد تعرف ضمائر الناس. قالت لأمى وهى تدفعه إليها: إنه يجعلها محبوبة، ويخضع لها غرام أبى ما دامت محتفظة به. فإذا فقدته أو أهده فعين أبى تتصرف عنها انصراف بغضاء، ونفسه تتحول إلى البحث عن سواها. ولما حضرت أمى الوفاة أعطتني وأوصتني إن تزوجت أن أمنحه لحيلتى وهكذا فعلت. فأرغب إليك فى استبقائه وصيانتته وأن تحبيه كحديقة العين الثمينة لأنه إذا فقد كان فقد خسارة لا تستعاض.
- ديدمونه : أيعقل هذا؟

عطيل	:	بل هو الحقيقة لأن في نسيجه سحرًا وما نسجته إلا عرافة شهدت دوران الشمس مئتي مرة. أما الديدان التي أخرجت حريره فقد كانت مرقية أيضًا. وأما الحرير فقد صبغ بعصير الموميات مستقطرًا من قلوب العذارى ومصونًا بعناية العلماء.
ديدمونه	:	أهذا صحيح؟
عطيل	:	غاية في الصحة وعليه أوصيك بالحرص كل الحرص على ذلك المنديل.
ديدمونه	:	إن كان ما ذكرت قليتي لم أراه قط.
عطيل	:	لماذا؟
ديدمونه	:	ما بالك تتكلم هكذا بعجلة ووجيف ^(١) .
عطيل	:	أفقد؟ أأضعته؟
ديدمونه	:	رعانا الله.
عطيل	:	ما ريك؟!
ديدمونه	:	لم أضلله ولكن لو حدث ذلك...
عطيل	:	كيف تقولين؟!
ديدمونه	:	أقول لم يضع.
عطيل	:	جنيني به الآن فأراه.
ديدمونه	:	سأفعل يا سيدى ولكن بعد الآن. إنما هي حيلة ابتدعتها لعدم إجابة التماسى. أكرر توسلى إليك يا سيدى أن تغفر لكاسيو.
عطيل	:	أذهبى وأحضرى لى المنديل - تاه فكرى.
ديدمونه	:	دع عنك هذا إنك لن تجد رجلاً أكفأ منه.
عطيل	:	المنديل....
ديدمونه	:	رجل وقف سعدة من أول عمره على صداقته لك وشاطرك الأخطار...
عطيل	:	المنديل.
ديدمونه	:	حقيقة إنك لتلام.
عطيل	:	إلى الورا.
إميليا	:	أليس هذا الرجل غيورًا؟
ديدمونه	:	لم أر فيه قبل الآن شيئاً من مثل هذا. لابد أن يكون فى ذلك المنديل سر عجيب وإننى لشقية بأننى فقدته.

إميليا

: جرت العادة أن يكون الرجال بعد سنة أو سنتين من الزواج كما هو الآن. إن هم جميعًا إلا معد وإن نحن جميعًا إلا غذاء يأكلوننا بنهم فإذا امتلأوا تقاؤونا.

انظري هذا كاسيو وزوجى.. (يدخل كاسيو وياجو)

ياجو

: لا وسيلة غيرها وهى وحدها التى يجب أن تتقنك. ما أسعد طالعك ها هى ذى. اذهب إليها وألحف.

ديدمونه

: واهًا يا صديقى كاسيو ما عندك من النبأ عن شأنك؟

كاسيو

: أنا لا أزال على التماسى الأول يا سيدتى، أبتهل إليك أن تشفعى لى بما فطرت عليه من الرحمة لأعيش وأعود إلى صداقة الرجل الذى أجله كل الإجلال. ثم بودى أن أعرف مصيرى معه فى اقرب وقت، فإذا كانت هفوتى من الهفوات التى لا تغفرها لى خدمى السابقة وندامتى الحاضرة وإخلاصى الذى أنويه للمستقبل فليكن آخر إحسان منك أن تشعرينى بذلك فأقبل بما قسم لى على كره منى وأختط لنفسى خطة أخرى تاركًا مالى بين أيدى الأقدار...

ديدمونه

: أواه أيها الرجل النبيل كل النبل إن توسلاتى لم تجد إلى الآن وقد تتكر على مولاي منذ هنيهة حتى كان غير ما أعهده. ولو تغير وجهه كما تغير خلقه لما عرفته - ليت الأرواح العلوية مسعداتى بقدر ما شفعت لك عنده فلقد أصررت وكررت حتى انتهيت إلى شفا كدره. فلا بد لك من التجلد وسأفعل لأجلك أكثر مما أجسر على فعله لأجل نفسى فليكشفك هذا.

ياجو

: أمولاي غضبان؟

ديدمونه

: قد خرج الآن من هنا وهو بلا ريب فى اضطراب غريب.

ياجو

: لم أعهده يغضب. رأيته والمدفع يطير بكتائبه مبعثرة فى الهواء يهجم هجمة الشيطان وينقذ أخاه بيده.... ثم هو الآن يغضب. لابد من أمر ذى بال. سأذهب للقائه. إنه إذا حقن فلسبب خطير.

ديدمونه

: افعل بتوسل منى (يخرج ياجو) لابد أن يكون هناك معضلة من معضلات الحكومة أو أمر وفد من البندقية أو مؤامرة علم بتدبيرها فى قبرس قد غشت عليه صفاء فكره. وفى أمثال هذه الأحوال تضطر النفوس الكبيرة الغايات أن تشتغل بالهنات الصغائر. مثلنا بذلك كمثل الذى تؤلمه إصبعه فيجد شعور الألم فى سائر جوارحه السليمة، على أن الرجال ليسوا بآلهة وما علينا أن نكلفهم على الدوام مجاملتنا كما يفعلون أيام العرس - عنفينى

بشدة يا إميليلا لأننى كنت شارعة فى التظلم فى من قسوته لدى محكمة
ضميرى أما الآن فأرى أننى رشوت الشاهد وأننى ألقيت التهمة بغير
صواب.

إميليلا : لنضرع إلى الله أن يكون ما به أمرًا من أمور الحكومة كما فكرت لا جنة
من جنات الغيرة.

ديدمونه : ويحى لم أفعل قط ما يستقر غيرته.

إميليلا : غير أن النفوس الغيورة لا تهتم بالبراءة ولا تجيئها فى الغالب نوباتها عن
سبب بل تغار لأنها تغار وما الغيرة إلا بهيمة شاذة تلقح من نفسها وتتولد
من نفسها.

ديدمونه : وقى الله قلب عطيل من تلك البهيمة.

إميليلا : آمين يا سيدتى .

ديدمونه : سأذهب لأستقدمه. كاسيو تنزه قليلاً بقرب هذا المكان فإذا وجدته فى ساعة
رضى دافعت عنك وبذلت مجهودى فى كسب دعواك.

كاسيو : اشكر مرحمتك بكل خضوع (تخرج ديدمونه وإميليلا)
(تدخل بينكا)

بينكا : حياك الله ورعاك كاسيو.

كاسيو : ما تصنعين خارج البيت. كيف حالك يا عزيزتى الجميلة جدًا؟ تالله لقد
كنت على عزم التوجه إليك...

بينكا : أنا كنت ذاهبة إلى منزلك. أيمضى أسبوع ولا تزور. سبعة أيام وسبع ليال،
مائة وثمان وستون ساعة. على حين أن ساعات هجر العشيق أشد تبريحًا
من ساعات التوقيت بمائة وستين مرة. يا الله ما أقبحها سأمًا وضجرًا.

كاسيو : سامحيني يا بينكا نكبت بما أقصانى عنك فى هذه الأيام كلها.. ولكننى
سأعوض ما فات بما هو آت. أى عزيزتى الكريمة بينكا. أنسخى لى مثلاً
من هذا المنديل.

بينكا : من أين جاءك هذا يا كاسيو؟ لابد أنه هدية من صديقة جديدة... لقد
فهمت سبب ذلك الجفاء سنرى سنرى.

كاسيو : تخلطين يا امرأة. ألق بظنونك البشعة فى وجه الشيطان الذى أوحاها إليك.
أتغيرين من تخمينك أن لى رفيقة جديدة. كذبك وهمك وعهد الوفاء.

بينكا : إذن من أين جاء هذا؟

كاسيو : لا أعلم، وجدته فى غرفتى وأحببت صنعه كثيرًا، لذلك سألتك صنع غيره

على مثاله قبل أن يطلبه أربابه، أرجو منك وأتوسل إليك أن تتقلى لى هذا المثال. والآن دعينى.

- بينكا : لماذا أدعك؟
- كاسيو : أترقب القائد هنا وليس من مصلحتى ولا من أمنيتى أن يرانى مع امرأة.
- بينكا : ولم هذا التحاشى؟
- كاسيو : ليس من عدم الحب.
- بينكا : بل من كونك لا تحب "إيلى". تكرم على واصحبنى قليلاً وأجبنى: أترورنى الليلة أم لا؟
- كاسيو : لا أستطيع مرافقتك إلا بعض الخطى إذ لا محيص لى من انتظار القائد هنا. لكن سأراك قريباً.
- بينكا : لا بأس إنى أدع التشديد الآن مراعاة للحالة

(يخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الأول
قبرس - أمام القصر
[يدخل عطيل وياجو]

- ياجو : أيداخلك مثل هذا الظن؟
- عطيل : مثل هذا الظن؟
- ياجو : لأجل قبلة اختلست على انفراد.
- عطيل : قبلة غيرة جائزة...
- ياجو : أو لأجل قضاء ساعة أو أكثر مع المحبوب فى سرير واحد.
- عطيل : أيعريان ويدخلان السرير بدون قصد أثيم. ياجو هذه مداجاة ^(١) للشيطان. إن الذين يخلون هذه الخلوة لو طهرت نياتهم لامتنحهم إبليس وامتنحوا الله.
- ياجو : إذا لم يفعلوا شيئاً فهي هفوة عرضية أما إذا أعطيت امرأتى منديلاً...
- عطيل : فما يكون؟
- ياجو : يكون عندئذ ملكاً لها ولها وفيما أعتقد أن تمنحه لمن تشاء.
- عطيل : هى أيضاً أمينة على عرضها أستطيع أن تهبه.
- ياجو : عرضها لا يرى وكثيراً ما يحدث أن الذين لا عرض لهم هم بالذات أصحاب العرض. أما المنديل...
- عطيل : بالله العظيم لقد كنت أود لو أنساه... أتمم جملتك... لكن ذكره يود إلى رأسى كما يعود الى البيت المتداعى غراب البين ينعق بالويلات... كنت تقول إن المنديل وجد معه؟!
- ياجو : فدلّيل أى شىء هو؟
- عطيل : كيفما كانت دلالاته فما هى بالشىء النظيف.
- ياجو : إذن ما كنت تصنع لو أبلغتك أننى رأيته يسلب عرضك أو أننى سمعته يقول كيت وكيت كما يفعل بعض الشذاذ الذين إذا قضوا لبانتهم من معشوقتهم سواء بالحقافاتهم المزعجة أو بتشخيصاتهم المؤثرة، لم يملكوا الكتمان.
- عطيل : وما الذى قاله؟
- ياجو : إنه... فعل ما لست أتذكر...

- عطيل : أى شىء أى شىء؟؟
- ياجو : إنه بات...
- عطيل : معها؟
- ياجو : معها... بقربها... كما تشاء!
- عطيل : معها.. بقربها.. خطب رائع. المنديل... الإفرات... المنديل... ليعترف ثم ليشنق جزاء وفاقاً بل ليشنق أولاً ثم ليعترف... أرتجف لمجرد تصورى تلك الخيانة؛ ولولا أنها وقعت وأسرتها إلى الطبيعة لما بلغ الاضطراب منى هذا المبلغ.. ليس الذى يقلبنى عاليًا إلى سافل كلمات فقط... لعنة الله عليهما.... أنفاهما... آذانهما... شفاههما... أفى التصور ما كان....
- ليعترف - المنديل - يا للشيطان (بغى عليه)
- ياجو : فعلك يا طبى فعلك. الحمقى المصدقون يؤخذون هكذا. وهكذا تقع السعاية على كثيرات من الخواتين ^(١) العفيفات - صحواً سيدي... سيدي...
صحواً عطيل. (يدخل كاسيو)
- ياجو : كاسيو؟!
- كاسيو : ما أرى؟
- ياجو : أغمى على مولاي... أمس مرة وهذه الثانية...
- كاسيو : أفرك صدغيه.
- ياجو : لا... قف.. لا ينبغي تحريكه فى الإغماء وإلا أزيد فمه وهب هبة جنون وحشى.. انظر... يضطرب.. تغيب قليلاً.. سيرجع على حسه وعندما ينصرف أريد أن أفأوضك فى أمر ذى بال (يخرج كاسيو) كيف أنت الآن أيها القائد ألم تجرح فى رأسك؟
- عطيل : تسخر منى؟!
- ياجو : أنا أسخر منك؟ لا والسماء... عساك أن تتحمل قسمتك تحمل الرجال.
- عطيل : رجل ذو قرنين لا يكون إلا خلقاً مخطئاً أو حيواناً.
- ياجو : يوجد إن فى مدينة مأهولة كثير من الخلائق المخطئة، وكثير من البهائم فى زى الحضارة.
- عطيل : هل أقر بما فعل؟
- ياجو : سيدي الكريم كن رجلاً، تصور أن كل ذى لحية مشدودة إلى امرأة يستطيع

أن يحمل حملك. من الناس فى هذه الساعة ألوف ألوف بيتون ليلهم فى مضاجع قاسمتهم إياها الجماهير ويزعمون أنها لهم خاصة أما أنت فحظك ما زال أصلح من حظوظ هؤلاء... لكن أجد من جهة أخرى أن من سخریات جهنم ومبالغات الرجم فى الرزايا عنائك لامرأة فاسقة فى فراش شرعى وتحسبها طاهرة... لا.... خير لك ثم خير لك أن تعرف كل شىء فإننى متى عرفت ما أنا عرفت أيضاً مصيرى.

عطيل

: أنت عاقل بلا مرأى.

الزم السكينة قليلاً واكتف بالإصغاء متجلداً أسمعك برهاناً جديداً.. جاء كاسيو إذ كان مغمى عليك من الألم وهو ما لا يليق برجل مثالك فأبعده معتذراً بعلتك وأوصيته أن يعود لمخاطبتى بعد هنيهة. فالتمس لك هنا مكمناً تجثم فيه وألمح إشارات الهزء والاحتقار التى تبدو على وجهه حين أكلمه عنها وسأحتال عليه بحيث يقص على قصته مع امرأتك ويقول أين وكيف ومتى. وكم مرة اجتمع بها أو ينوى أن يجتمع. تتبه وحسبك أن تزقب حركاته. يا الله صبراً وإلا شهدت أنك الهزة مشخصة برأس وقدمين وأن لا شىء فيك من الرجل.

عطيل

: اسمع يا جو سترى أننى جليد كل الجلد ولكننى أعلم أيضاً سفاح فى الغاية.

ياجو

: مهما تقتل لا تترك حق تارك غير أنه يحسن عمل كل شىء فى ميقاته أتريد أن تتوارى؟ (يختبئ عطيل) الآن سأسأل كاسيو عن بينكا العاهرة التى تبيع محاسنها وتشترى خبزاً وملابس. هذه الفاجرة مجنونة بكاسيو لأنه من مصائب البغيات أن يخدعن ألوفاً ويخدعن واحد - فمتى سمع ذكرها لم يملك أن يضحك حتى يشرق... أراه قادماً ومتى تبسم أصبح عطيل مجنوناً وأولت غيرته الفاحشة كل رمز يرمزه من تبسم وإشارة أسوأ تأويل على المسكين كاسيو (يدخل كاسيو)

ياجو

: كيف أنت الآن أيها الملازم؟!

كاسيو

: كما يكون القتيل، وإننى لقتيل بفقدى اللقب الذى تلقبى به.

ياجو

: أصرر على التماس الشفاعة من ديدمونه وثق بالنجاح (بصوت خافت) أما لو كانت أمنيئك عاقلة برداء بينكا لتحققت سريعاً.

كاسيو

: مسكينة تلك الإنسانية.

عطيل (فى مكمناه)

: انظر كيف طفق يضحك!

- ياجو : لم أر قط امرأة تحب رجلاً هذا الحب.
- كاسيو : ويحها من خاطئة أظن على ذمتي أنها تحبني.
- عطيل (في مكمته) : ها هو ذا ينكر الجريمة بتراخ لكن يضحك لذكرها كثيراً.
- ياجو : أسمع يا كاسيو.
- عطيل (في مكمته) : إنه الآن يخرجه ليحمله على الإخبار. أحسنت أحسنت.
- ياجو : تشيع أنك ستقترن بها. أهذه أمنيته.
- كاسيو : ها ها ها...
- عطيل (في مكمته) : أفائز أيها الروماني أفائز؟
- كاسو : أنا أقترن بها. بمومس. هب عقلي شيئاً من حسن ظنك ولا يكن رأيك هذا الرأي العفن. ها ها ها.
- عطيل (في مكمته) : كذا كذا الظافرون يضحكون.
- ياجو : بذمتي إن إشاعة زواجكما متناقلة.
- كاسيو : بحياتك قل لي الحقيقة
- ياجو : إن لم تكن قولي الحقيقة فلا كنت إلا محض مجرم مزور.
- عطيل (في مكمته) : طبعت السمّة على جبهة لا بأس.
- كاسيو : إن هي إلا إشاعة صادرة عن تكل الوقحة تظن أنني أتأهل بها عن زهو وخيلاء منها لا عن وعد مني.
- عطيل (في مكمته) : ياجو يشير إلى.. سيبدأ القصة.
- كاسيو : كانت هنا هي هنيهة ودأبها أن تتركني في كل مكان.
- ومن جنونها أنها لحقت بي وإلى شاطئ البحر منذ أيام وكنت أحادث بعض البندقيين فجاءت وطوقت عنقي هكذا..
- عطيل (في مكمته) : وهي تصبح : "يا حبيبي كاسيو". أكاد أسمع ما يقوله لفصاحة إشارته.
- كاسيو : علقت بعنقي وأخذت تترجح وتبكي وتدفعني وتجذبني.
- ها ها ها
- عطيل (في مكمته) : يخبره كيف أدخلته غرفتها، آه إنى أرى أنفك... لا بل أرى الكلب الذي سألقيه إليه.
- كاسيو : لا بد لي من مقاطعتها.
- ياجو : ليس بحضورى.. التفت تجدها مقبلة.
- كاسيو : هذه مفتونتي يسطع عطرها إلى هذا المكان.

(تدخل بينكا)

- كاسيو : ما مرادك من مطاردتى هكذا؟
- بينكا : طاردك الشيطان وأنتاه ما كان مقصدك من هذا المنديل الذى دفعته إلى منذ قليل. غلبت على الغفلة فصدقت أنك تستنسخ رسمه. أمن المعقول أن تجد مثل هذا الشيء الثمين فى غرفتك من غير أن يكون أحد قد تركه، هذا بلا شك هدية من عاهرة ما، وأنا أكلف تصوير مثله. أبى الله أن أفعل. خذه وأهده عشيقتك. أيًا يكن مأتاه فلن أنقله.
- كاسيو : ماذا جرى يا صفتى بينكا ماذا جرى؟
- عطيل (فى مكمته) : يا لله لابد أن يكون هذا منديلى.
- بينكا : إذا أردت أن تجيء لتناول العشاء الليلة فأهلاً وإلا فتعال حين تشاء.. (تخرج بينكا)
- ياجو : أعد وراءها أدركها.
- كاسيو : لا بد لى من ذلك أو تملأ الطرق وصياحاً.
- ياجو : أنتعشى هناك؟
- كاسيو : هذا إزماعى.
- ياجو : لعلى ألحق بك إذ أننى فى حاجة لمفاوضتك.
- كاسيو : تعال ولك الفضل. أتجىء؟
- ياجو : كافية لا تترد. (يخرج كاسيو)
- عطيل (فى مكمته) : أية قتلة أقتله؟ أشر.
- ياجو : رأيت كيف كان يضحك من جريمته؟
- عطيل : ياجو ياجو.
- ياجو : وهل رأيت المنديل؟
- عطيل : أكان منديلى؟
- ياجو : منديلك قسماً بيدى ومن الغريب أن تكون هذه عنده قيمة امرأتك المجنونة التى تعطيه منديلاً ويعطيه بغياً.
- عطيل : أتمنى لو مكنت تسع سنين أقتله - امرأة جميلة، امرأة رشيقة، امرأة أنيسة.
- ياجو : لابد لك من نسيان كل هذا.
- عطيل : نعم ولتذهب إلى حيث تقضى ولتهلك جسماً ونفساً فى هذه الليلة... لن تعيش... لا.. إن قلبى قد تحول إلى حجر، أضربه ويجرح يدى. أواه ليس فى العالم أعذب منها امرأة. كان يحق لها أن تقترن بملك كبير وتأمرة بما تشاء.

- ياجو : ليس هذا ما ستفعله معها.
- عطيل : لتسنىق.. ولكن اذكر صفاتها. ما أبرعها فى تقليب الإبرة، ما أمهرها فى الموسيقى. إذا تغنت أزلت وحشية الضارى غير أنها مع ذلك الذكاء وتلك الفطنة...
- ياجو : أجدر بالثريب.
- عطيل : ألف مرة أجدر. ثم ما أشرف محتدها ^(١).
- ياجو : أشرف من أن يعبث به هكذا.
- عطيل : تجاوزت حده بلا مرء ولكن يا للغبى، ياجو يا للسخارة..
- ياجو : إذا كنت مغرمًا إلى هذا الحد بفجورها فأعطها إجازة لارتكاب الخطايا وهذه الإباحة لا تعنى أحدًا غيرك.
- عطيل : سأهشمها هشمًا. تلك التى عرضتلى لهذه المهانة.
- ياجو : إن ذنبها لعظيم.
- عطيل : تخوننى مع تابعى!
- ياجو : وهذا ذنب أعظم.
- عطيل : هبى لى سمًا ياجو... الليلة. لا أريد أن يجرى عتاب بينى وبينها مخافة أن يتغلب جسمها وجمالها على نفسى - الليلة يا صاحبى.
- ياجو : لا تقتلها بالسم اخنقها فى نفس السرير الذى دنسته.
- عطيل : هذا العقاب أعجبنى وهو أفضل.
- ياجو : أما كاسيو فدعنى أتول القضاء عليه وستعلم بقية أمرى فى منتصف الليل.
- عطيل : غاية فى الإحسان (يسمع بوق) ما هذا البوق؟
- ياجو : رسول من البندقية بلا شك... هذا لودفيكو آتيا من قبل الدوج وهذه امرأتك تصحبه.
- (يدخل لودفيكو ديدمونه وأتباع لهما)
- لودفيكو : كلاك الله أيها القائد الشريف.
- عطيل : مطيعك من صميم الفؤاد يا سنيور.
- لودفيكو : الدوج وأعيان البندقية مرسلون إليك تحياتهم.
- عطيل : أقبل الهنة ^(٢) الحاملة لمشيتتهم.

(١) أصلها.

(٢) الشيء.

- ديدمونه : وما وراءك من الأخبار يا ابن عمى لودفيكو.
- عطيل : أنا مسرور برؤيتك يا سنيور مرحباً بك في قبرس.
- لودفيكو : شكراً لك، وكيف الملازم كاسيو؟
- ياجو : حى يا سنيور
- ديدمونه : يا ابن عمى لقد قام بينه وبين مولاي خلاف أحزننى لكن أرجو أن تعيد المياها إلى مجاريها.
- عطيل : أواثقة أنت من ذلك؟
- ديدمونه : مولاي.
- عطيل (قارئاً) : "واليك أن تفعل فى هذا الأمر ما تراه".
- لودفيكو : لم يخاطبك بل كان مشتغلاً بمطالعة هذا الكتاب. أوجد شقاق بين القائد وبين كاسيو؟
- ديدمونه : شقاق ساعنى جداً وأرغب فى إزالته كل الرغبة لما لى من العطف على كاسيو.
- عطيل : لمهب وملح بارود
- ديدمونه : مولاي.
- عطيل : أمعك مسكة من العقل؟
- ديدمونه : أتراه غضبان.
- لودفيكو : لعل هذا الكتاب أثر فيه فإن به على ما أظن استدعاه إلى البندقية وتقليد منصبه لكاسيو.
- ديدمونه : حبذا البشرى وما أفرحنى بها.
- عطيل : الله الله.
- ديدمونه : مولاي.
- عطيل : أنا أفرح بأن أراك مجنونة.
- ديدمونه : كيف يا مولاي الكريم.
- عطيل : أنت شيطانة (يصفعها).
- ديدمونه : لم استحق هذا.
- لودفيكو : لو أقسمت فى البندقية أنى رأيتك تضربها لما صدقونى، هذا فوق الطاقة. استغفرها إنها تبكى.
- عطيل : يا للشيطانة الشيطانة لو كانت الأرض تلقح بعبرات لكانت كل دمعة تسقط من عيون امرأة تلد تمساحاً.

إليك عنى.

ديدمونه (تتجه) : أنصرف منعًا لاستيائك.

(لأنصرف)

لودفيكو : هل فى السيدات أطوع منها، أبتهل إليك يا مولاي أن تدعرها.

عطيل : أيتها السيدة.

ديدمونه : مولاي.

عطيل : ما تريد منها يا سنيور؟

لودفيكو : من؟ أنا يا سيدى؟

عطيل : نعم أنت رغبت إلى فى دعوتها ولها أن تجيء وتذهب وتطور وتتقدم

وتتأخر كما تشاء ولها أن تبكى ما تبكى. وهى طيبة كما تقول يا سنيور،

طيبة جدًا... وأصلى البكاء.. أما محتوى هذا الكتاب فهو أننى أمرت

بالعودة إلى البنديقية. أواه مما ترهقنى الآلام - اذهبى وسأبعث فى طلبك

بعد هنيهة... سنيور إنى مطيع للأمر وسأرجع للبنديقية... توارى من هنا

انصرفى (تخرج ديدمونه) سيتولى كاسيو مكانى.. سنيور أرجو أن تجيب

دعوتى إلى العشاء الليلة.

مرحبًا بك فى قبرس يا سنيور - تيوس وقردة.

لودفيكو : أهذا هو ذلك المغربى الذى أجمع مجلس أعياننا على امتداحه فى كل

شئ؟ أهذا هو ذلك الطبع الذى لا يستقره الغضب والذى تتعالى شجاعته

عن أن تتأله وريّة زند من زناد العرض أو تصيبها رمية من سهام

الطوارئ؟

ياجو : لقد تغير حتى تتكر

لودفيكو : أو مالك عقله، أو ليس به مس وخيال

ياجو : هو ما ترى. لا ينبغى لى أن أنقده. وليته كان كما يجب، بل كما يستطيع

أن لا يكون.

لودفيكو : يا للفضاعة يضرب امرأته.

ياجو : بنمتى لم يكن عمله جميلًا ولعله لا يتبعه بأقبح.

لودفيكو : أهذه عادته أم اثر فيه هذا الكتاب تأثيرًا حمله على ارتكاب هذه الهفوة؟

ياجو : ليس مما يقتضيه وفائى أن أخبرك بما رأيت وعرفت. ستعلم من أفعاله ما

يغنيك عن كلامى، تتبعه وارقب ما سيكون من بقية أمره.

لودفيكو : إنى أسيف لما اعتقدته فيه من الخير.

obeikandi.com

المشهد الثانى

مسكن فى القصر

[يدخل عطيل وإميليا]

- عطيل : إذن لم تَرى شيئاً؟
- إميليا : ولم أسمع ولم يخامرني ظن.
- عطيل : بلى رأيتهما معاً هى وكاسيو.
- إميليا : لكنى لم أَلح ربية خلال هذه المقابلات ولم يفتتنى هجاء مما كانا يقولانه.
- عطيل : غريب. أم لم يتهامسا؟
- إميليا : قط يا سيدى.
- عطيل : أو لم تبعدك مرة عن مكان الاجتماع؟
- إميليا : قط.
- عطيل : لتجنيئها بمروحتها أو قفازيها أو حجاب وجهها أو أى شىء آخر.
- إميليا : قط يا سيدى.
- عطيل : غريب.
- إميليا : أقسم إنها طاهرة يا سيدى وأخاطر على حياتى فإن كان قد خامرك شك.
- فقد خدعت وإن كان لئيم غادر قد دس فى نفسك هذا الشك فليلعنه الله لعنة الثعبان. فوالله لئن لم تكن عفيفة نقية صادقة فليس فى الدنيا رجل سعيد وليس فى النساء مهما طهرت الواحدة منهن إلا كل ملوثة كالفضيحة بعينها.
- عطيل : أبلغها أمرى بالمجىء (تخرج إميليا) تتكلم بجلاء ولكنها قوادة كسائر القوادات لا تستطيع أن تقول إلا ما قالته. أما تلك فبغى حذر بل غرفة سوء مقفلة على أسرار نجسة، ومع هذا رأيتها تجثو وتصلى. رأيتها...
- (تدخل ديمونه وإميليا)
- ديمونه : مولاي ما مشيتك؟
- عطيل : تعالى إلى هنا يا دجاجتى.
- ديمونه : ما الذى تريده؟
- عطيل : أرينى عينيك. انظرى إلى مواجهة.
- ديمونه : ما هذه الأمنية المنكرة؟!
- عطيل (إلى إميليا) : أنت يا سمحة جودى علينا ببعض الخدم التى تحسنينها. دعى العاشقين

مختليين وأقفل الباب ثم استعلى أو همهمى إذا جاء أحد .إلى مهنتك.
امضى. أسرعى (تخرج إمبليا)

ديدمونه

: ألتمس منك جائية أن تقول لى ما معنى هذا الخطاب.

أحس فيه الغضب ولكن الألفاظ لا أدرك معناها.

عطيل

: أجيبينى من أنت؟

ديدمونه

: زوجك يا سيدى، حليلتك المخلصة.

عطيل

: أقسمى على هذا أو واقضى على نفسك بعذاب الآخرة إن لم يكن حقاً إنك

لتشبهين الملائكة شبهًا يخيف الشياطين من قبضك... أقسمى مرتين على

حياتك الآخرة بأنك طاهرة.

ديدمونه

: السماء تعلم غفتى بكل تحقيق

عطيل

: السماء تعلم بكل تحقيق أنك خادعة كجهنم

ديدمونه

: أواه من هذا اليوم المشؤم لماذا تبكى، أنا مسببة هذا البكاء يا سيدى. إذا

كنت تظن أن أبى كان الساعى فى رجوعك فهل على ملام؟ وإذا كانت قد

فقدت صداقته فقد فقدتها أنا أيضاً.

عطيل

: لو أنه طاب للسماء أن تمتحنى بأشد البلايا فأمرت على رأسى حاسراً

صنوف الآلام والمعرات وأغرقتنى فى الفقر إلى الشفتين وسامنتى الأسر

وخيبة البقية من آمالى، لوجدت فى زاوية من نفسى أدنى موضع للصبر،

ولكن يا للحيف، لا صبر لى على أن أكون تمثالاً يرمقه الزمان ويشير

إليه الاحتقار بأصبع يرفعها على مهل. على أننى ربما تماديت إلى تحمل

هذا ولا بأس. إلا أن هناك مقدساً أودعت فيه قلبى وهو الذى يجب أن

أعيش فيه أو لا معنى للعيش. ثم إن هناك ينبوعاً يجرى منه تيار بقائى

وبدونه ينضب فأنا بين خطتين إما أن أطرده من المقدس وإما أن أبقي

الينبوع مباحاً كالبرتر ترده الصراصير القذرة وتتوقع بجانبه وتتأسل. إيها

أيها الصبر. إيها أيها الملك الوردى الثغر، تحول تجاه هذا المشهد واتخذ

وجهًا قائمًا كوجه سقر^(١)

ديدمونه

: أرجو أن يكون سيدى على يقين من غفتى.

عطيل

: نعم، نعم كيقينى من ذباب الصيف فى المجازر لا تبيض حتى تتجامع.

أيها الزهرة المنتاهية رقة وجمالاً النافحة من الطيب ما يسكر الجوارح لماذا

ولدت فى الدنيا؟!

- ديدمونه : يا ويحى أية خطيئة من خطايا السهو اقترفت؟
- عطيل : هذه البشرة الناعمة. هذا الكتاب الشائق المكسو أكان معدًا لتخط على ظاهره كلمة "مومس"؟ أية خطيئة ارتكبتها؟! يا بغى السوق لو ذكرت لك ما فعلته لاحمرت وجنتاى كالتنور ولسحقنا كل خجل سحق الرماد. أية خطيئة ارتكبتها؟ السماء تسد أنفها من رائحتها والقمر يغمض عينيه من قبحها والنسيم الفاسق الذى يقبل كل ما يمر به يختبئ منها فى جوف الأرض ويأبى سماعها. أية خطيئة ارتكبتها أيها الفاجرة الوقحة؟!
- ديدمونه : وأيم السماء إنك لتفتري على الإهانة.
- عطيل : أأست عاهرة؟
- ديدمونه : لا والذى خلقتى متقية، وإذا لم يكن إثماً على حظى لهذا الإناء الجثمانى نقيًا من كل شائبة وملمس سىء فلست ما تصف.
- عطيل : وكيف لست بغيا.
- ديدمونه : إني لمؤمنة ببراءتى كإيمانى بنجاتى من عذاب الآخرة.
- عطيل : أفى الاحتمال هذا؟
- ديدمونه : غفرانك اللهم لنا غفرانك.
- عطيل : إذن أسألك العفو فقد كنت ظننتك تلك الخبيثة العاهرة من عواهر البندقية التى اقترنت بعطيل. أنت يا سمحة أنت التى تمتهين نقيض مهنة بطرس وتحرسين أبواب جهنم.
- (تدخل إميليا)
- عطيل : أنت أنت! نعم أنت لقد قضينا لبانتنا وهذا جزاؤك من النقود. أرجو أن تغلقى الأبواب وتكتمى سرنا (يخرج)،
- إميليا : ويلاه ماذا يتصور هذا السيد؟ كيف أنت الآن يا مولاتى الكريمة؟
- ديدمونه : بين نوم ويقظة
- إميليا : ماذا جرى بينك وبين مولاي؟
- ديدمونه : وبين من؟
- إميليا : وبين مولاي يا سيدتى.
- ديدمونه : من مولاك؟
- إميليا : الذى هو مولاك يا سيدتى.
- ديدمونه : لا مولى لى. لا تكلمينى إميليا فما أستطيع البكاء ولا جواب بغيره عندى.

أرغب إليك أن تضعي في هذا المساء على سريري أغطية العرس. لا تنسى واذهي فادعي زوجك إلى.

إميليا

: هذا تغيير عجيب (تخرج).

ديدمونه

: عدل ما عوملت به، عدل ولكن ما الذي صنعته حتى إن أكبر هفواتي أدخلت على نفسه أدنى ريب!.

(تعود إميليا وياجو)

ياجو

: ماذا تريد يا سيدتي؟ ماذا جرى؟

ديدمونه

: لا أقدر على ذكره، الذين يربون الأطفال يرفقون بهم ويكلفونهم الأعمال السهلة، كان يستطيع أن يعاملني هكذا – لأنني طفلة متى زجرت...

ياجو

: ماذا حدث يا سيدتي؟

إميليا

: ويلاه إن سيدي قد أهانها كثيرًا ودعاها بغيًا وحقرها تحقيرًا مرهقًا بألفاظ سمجة لا تطيقها القلوب الكريمة.

ديدمونه

: أنا جديرة بهذه التسمية يا ياجو؟

ياجو

: أية تسمية أيتها السيدة الجميلة؟

ديدمونه

: التي دعاني بها مولاي.

إميليا

: دعاها بعاهرة وهو مالا يقوله الشحاذ السكران لمن هي معه.

ياجو

: علام فعل هذا؟

ديدمونه

: لا أدري. وأنا على ثقة من أنني لست كما عزم.

ياجو

: لا تبكي لا تبكي. ويلاه، مصيبة.

إميليا

: أتركت سائر خطابها الشرفاء وهم كثير، وتركت إياها وبلادها وأصدقاءها لتسمى عاهرة؟ أليس في هذا ما يستبكي؟

ديدمونه

: قضاء من نحسى.

ياجو

: لعنة الله عليه لفعله هذا، من أين أصابه هذا الجنون؟

ديدمونه

: الله وحده يعلم.

إميليا

: بل على عنقي. إن هناك غدارًا هالكًا دساسًا محتالًا شحاذًا نامًا غشاشًا وشي وشاية لينال منصبًا. على عنقي هذا ما هو كائن.

ياجو

: دعى الوهم أيجاد رجل من هذا النوع؟ محال.

ديدمونه

: إذا كان موجودًا فليسامحه الله.

إميليا

: بل ليسامحه حل المشنقة ولتأكل جهنم عظامه. لم دعاها بغيًا.. من الذي يعاشرها وأين متى وأى ظاهر دل. وهل هو معقول؟... لقد خدع المغربي.

خدعه أحد السفلة الأذنياء المجرمين الأبالسة، أحد المكره الممتهنين. يا
للسماء لو عدلت لوجب أن تكشفى الستار عن أولئك المجرمين وتضعى
سوطاً فى يد كل رجل كريم ليُساط به أولئك اللثام فى أطراف الدنيا من
الغرب إلى الشرق.

ياجو : اخفضى من صوتك
إميليا : خيبة وعار على أولئك الناس. ألم يدخل عليك واحد منهم أن بينى وبين
المغربى ريبة (مخاطبة ياجو بصوت منخفض)
ياجو : (من جانب إلى إميليا) أنت حمقاء أمشى.

ديدمونه : ياجو وا حسرتاه كيف أنصع لأعود إلى رضى مولاي اذهب إليه يا
صديقى لأننى وأيم هذا النور السماوى لا أعرف كيف فقدته. إننى لأجئو
هنا ولئن كنت قد أخطأت إلى غرامه مرة عن قصد سواء بلسانى أم بفكرى
أو بفعلى ، بل لئن كانت عيناى أو أنناى أو أية حاسة من حواسى الآخر
مالت إلى غيره، بل لئن كنت غير مقيمة على حبه الآن كما كنت أحبه
وكما سأحبه أبداً حتى لو قذف بى فى شقاوة الطلاق، لا كانت لى سلوى
ولا تعزية فى هذه الدنيا. إن القسوة لتقدر على كثير وقسوته على قد تقتلنى
على أنها لا تدنس غرامى. أنا لا أستطيع أن أقول بغى. هذه الكمية
يؤلمنى لفظها فما بال العمل الذى يصم بها ولو دعتنى إليه جميع أباطيل
الحياة.

ياجو : صبراً صبراً إن هى إلا سحابة كدر وتنقضى. لقد أزعجته أحوال الحكومة
فوقع عليك غضبه.

ديدمونه : إن لم يكن سبب إلا هذا رضىيت.

ياجو : لا سبب إلا هذا، على عهدتى (تسمع أبواق) أصغى هذه الأبواق تدعوك
إلى العشاء وسفراء البندقية فى انتظارك للجلوس إلى المائدة انهضى إليهم
ولا تبكى ثم كل شئ يجىء على المرام (تخرج ديدمونه وإميليا) ما جاء
بك يا رديجو (يدخل رديجو)

رديجو : لا أجذك تحسن الصنيع معى.

ياجو : ما يثبت لك ذلك.

رديجو : كل يوم تطاولنى ملتمساً عذراً جديداً ويظهر أنك تمنعنى الفرص بدلاً من
أن تساعد على سنوحها. لن أتحمل هذه السيرة ولم يبق فى وسعى أن
أهضم بسكينة كل ما هضمته عن حمق من قبل.

- ياجو : أتصغى إلى وتمتثل يا رديجو؟
- رديجو : وذمتى لقد طالما امتثلت فما حلوت بطائل لأن أقوالك لا تتطبق على أفعالك.
- ياجو : تتهمنى بغير حق.
- رديجو : بل بحق، فلقد أنفقت ما جاوز مقدرتى والجواهر التى أعطيتك إياها برسم ديدمونه كانت تكفى لقصم راهبة من نصفها؛ فإن كنت قد أوصلتها كدعواك وكانت العِدَاتُ ^(١) التى جئتنى بها منها شكرًا صحيحًا فلم لا أجد تحقيقًا لشيء منها؟
- ياجو : امض فى كلامك. هذا حسن.
- رديجو : امض، كفانى ما مضى - هذا حسن. أقول إن فعله ليس بحسن. بل إنه نهاية فى القبح وقد ألمح أنك عبثت بى فى هذه المسألة.
- ياجو : حسن فى الغاية.
- رديجو : قلت لك إنه غير حسن لا فى الغاية ولا فى البداية أريد أن تعرفنى ديدمونه؛ فإذا ردت على جواهرى عدلت عن متابعتها والتمست الصفح منها عن سوء ما نديبتها له وإلا جعلتك مسئولاً عنها وأنزلت بك عقابى.
- ياجو : ماذا كنت تقول بعبارتك الأخيرة؟
- رديجو : لم اقل إلا ما أنا مززع فعله عن يقين.
- ياجو : الآن تبين أنك باسل، ومنذ الساعة أرى فيك رأيًا لم أراه من قبل. صافحنى يا رديجو لقد أسأت بى الظن ولك العذر غير أننى أؤكد لك أننى اشتغلت بمهارة لا تقبل المزيد فى مسألتك.
- رديجو : مهارة لم أتبين أثرها!
- ياجو : أسلم، ولهذا أجذك حكمت بعقل. لكن إذا صح أن عندك ما أعتقده الآن فيك من الشجاعة ورباطة الجأش فأرنيهما الليلة؛ فإذا كنت فى الليلة التالية لا تتمتع بديدمونه كان لك أن تقصينى عن هذه الدنيا بخيانتى وتتصب من الفخاخ ما تشاء لإفقادى حياتى.
- رديجو : أوافق ما الذى تتبغيه منى؟ أشياء فى الإمكان أو المعقول؟
- ياجو : لقد جاء وفد خاص من البندقية لإحلال كاسيو محل عطيل.
- رديجو : أصدق هذا النبأ. إذن عطيل وديدمونه يعودان إلى البندقية.

- ياجو : كلا، بل يذهبان إلى موريتانيا إلا إذا اضطرت الأحوال عطيلاً أن يطيل
مقامه هنا. وخير ما يستطال به مقامه أن يحذف كاسيو.
- ردريجو : ما تعنى بهذا الحذف؟
- ياجو : أعنى أن يعق عن الحلول محل عطيل... أن يهشم رأسه.
- ردريجو : وهذا ما تتوطه بى.
- ياجو : نعم إذا جرؤت أن تملك نفساً نفعاً وحقاً. سيتعشى الليلة عند فاجرة فالحق
به إلى منزلها وهو ما زال يجهل النعمة التى وقعت إليه فارقبه إن شئت
بين منتصف الليل والساعة الواحدة.. ومتى ألفيتى بجانبك لأعينك بحيث
لا ينجو من ضرباتنا، فاعزم ولا تقف دهشاً متردداً بل تعالى معى، سأريك
بعينيك وجوب قبله فنجد من نفسك عاملاً على إيقاع به. قد مضى ميعاد
العشاء فلا تتباطأ لعدم فوات الفرصة هلم بنا إلى العمل.
- ردريجو : أريد أسباباً أدعى من هذا لارتكاب ما تكلفنى إياه.
- ياجو : سأوافيك منها بما تشاء. أرح بالك. (يخرجان)

المشهد الثالث

مسكن آخر فى القصر

[يدخل عطيل ولودفيكو وديدمونه وإميليا وأتباع لهم]

- لودفيكو : حلفت عليك إلا ما منعت عن نفسك أمثال هذه المكدرات.
- عطيل : ألا تسمح بالخروج قليلاً لأن التتزه يفيدنى.
- لودفيكو : طاب ليلك يا سيدتى وشكراً جزيلاً لفضلك.
- ديدمونه : الشكر لك على التشريف.
- عطيل : أتمضى للتتزه يا سنيور... آه ديدمونه... انطلقى وادخلى سريرك منذ الآن.
- ديدمونه : سأعود بلا توان ثم اصرفى التابعة ولا تنسى.
- ديدمونه : نعم يا مولاي. (يخرج عطيل ولودفيكو والأتباع)
- إميليا : يظهر أنه أصفى مما كان.
- ديدمونه : قال إنه عائد حالاً وأمرنى أن أذهب إلى السرير وأوصانى بصرفك.
- إميليا : بصرفى؟
- ديدمونه : كذا أراد؛ فأعطينى يا عزيزتى إميليا بدلة نومى ودعيني، إذ لا ينبغي أن
- نفعل الآن ما لا يرضيه.
- إميليا : كنت أود لو لم تزيه قط.
- ديدمونه : ليس هذا ما أود، وإن حبى له ما زال بأكمله - أرجو أن تفكى عرى ثوبى - حتى إننى لأجد لطفاً وجمالاً فى غضبه وزجراته.
- إميليا : جعلت على السرير الأغطية التى أوصيتنى بوضعها.
- ديدمونه : استوى عندى كل شىء. ما أعبت الجنون بنفوسنا. إذا مت قبلك فأمنيتى أن تلفينى بهذه الأغطية.
- إميليا : دعى دعى السفاسف.
- ديدمونه : كانت لأمى وصيفة تدعى برياره وكانت تعشق رجلاً. ذلك الرجل أصيب يوماً بخبال وهجرها فكانت لا تقفأ تنشد أنشودة قديمة تعبر أحسن تعبير عن سوء بختها. ولما حضرته الوفاة قضت نحبها وهى تتغنى بها. تلك الأنشودة تعاود فكرى الليلة بلا انقطاع، وأكاد لا أملك رأسى أن يميل إلى جانب ولا لسانى أن يردد أنشودة المسكينة برياره. عجلى ولك الشكر.
- إميليا : أحضر لك قميص النوم؟

- ديمونه : لا، أعينى على تفكيك هذه العرى، إن لودفيكو لرجل كريم.
- إميليا : ومنيف فى الرجال.
- ديمونه : وحسن الحديث.
- إميليا : أعرف امرأة فى البندقية لو وعدت قبلة من شفته السفلى لسافرت إلى فلسطين فى طلبها.
- ديمونه (متغنية) : "توت الحزينة تبكى تحت الجميزة"
 "غنوا جميعاً على الصفصافة الخضراء."
 "وضعت يدها على صدرها ورأسها على ركبته."
 "غنوا جميعاً على الصفصافة الصفصافة الصفصافة."
 "وكانت المياه الباردة تجرى بقربها وتنتهد تنتهد."
 غنوا على الصفصافة"
 "ودموعها تجرى حتى تثلين الصخور"
 ضعى هذه الملابس ههنا.
 (متغنية) "غنوا على الصفصافة...".
 بحياتك عجلي قد قرب معاده.
 (متغنية) "ليصنع تاجى من صفصافة خضراء"
 "لا تلوموه على الجفاء أفدية وأفدى إعراضه".
 نسيت البقية: سمعاً... من يطرق الباب؟
- إميليا : الريح.
- ديمونه (متغنية) : "دعوته بالعاشق الكاذب فماذا قال"
 "غنى على الصفصافة...."
 "إذا غازلت غيرك من النساء غازلت غيرى من الرجال"
 الآن اذهبى ومساك الله بالخير: جفونى تحزننى، أسبق شعور بأئنى سأكى....؟
- إميليا : هذا لا يدل على شىء.
- ديمونه : كنت سمعت كلاماً فى هذا المعنى، أوه الرجال الرجال؟
 أتظنين يا إميليا وجود نساء يهن بعولتهن إهانة غليظة كهذه؟
- إميليا : توجد نساء من هذا القبيل ولا شك.
- ديمونه : لو أعطيت العالم بديلاً أكنت تفتريقين خطيئة كهذه؟
- إميليا : أقترفها ولا ريب.. أما أنت أفما كنت لتفعلى؟

- ديدمونه : لا وهذه الأنوار السماوية.
- إميليا : أنا أيضًا لا أفعلها وهذه الأنوار ^(١) السماوية أما فى الظلام فىلى.
- ديدمونه : أنفعلينها ولو أعطيت العالم كله.
- إميليا : العالم شىء عظيم وهو جائزة كبيرة لخطيئة صغيرة.
- ديدمونه : أظنك إذا جد الجد لا نفترفينها.
- إميليا : إذا جد الجد أظنى أفترفها، وأننى بعد اقتترفها أتوب عنها. لا جرم أن الهدية لو كانت خاتماً مضاعفاً أو بعض أصواف أو ثياب أو قبعات أو أى شىء حقير من هذه الدنيا لصنت نفسى، وأما الدنيا بحذافيرها فلا. وهل توجد امرأة لا تشتري لزوجها الملك بقرنين خفيين. من يقلد بعلى التاج فقد رضيت بالأعراف ^(٢) سبيلاً.
- ديدمونه : رضيت بلعنة الله لو رضيت بالدنيا قاطبة جزاء خطيئة من هذا القبيل.
- إميليا : خلى عنك، لو أوتيت الدنيا لما كانت خطيئتك فيها إلا إحدى الخطايا التى تجرى فى أملاكك ولك حينئذ أن تكفرى عنها سريعاً بما تشئين.
- ديدمونه : لا أعتقد وجود مثل هذه المرأة.
- إميليا : نعم توجد من صنفها عشرات بل بتعداد ما يكفى لعمار العالم الذى يقامرون لأجله. على أننى أعتقد أن النساء إذا عَشَرْنَ فالذنب للبعولة لأنهم بين خلتين ^(٣) إما أن يهملوا واجباتهم ويلقوا كنوزهم فى أحواض أجنبيات أو أن يتفجروا عليهن غيرة فيسومونهن المضايقة وآلام الضرب؛ وقد يبتزون أموالهن. ومهما يكن من طبائنا فإن فيها لشيئاً من السم، ولسنا خاليات من شغف بالانتقام تحت ما يروق من مظاهرها... ليعلم الأزواج.
- إن لنسائهم حواسٍ مثلهم لهن عيوباً ومناشِقَ وحلوفاً يميزن بها الحلو من المر كما لهم. ماذا هم فاعلون حين يستبدلون بواحدة منا غيرها؟ أهى اللذة تدعوهم؟ نعم. أهو الغرام يدفعهم؟ نعم أيضاً. أهو الضعف ينتقل بهم فى هذه الضلالات؟ نعم نعم نعم؟ فإن كان الأمر كذلك أفليست لنا نحن أيضاً لذات نشتيهها ومودات نبتغيها مع ضعف كضعفهم يحملنا على غير محمل؟ لهذا أقول إما أن يحسنوا معاملتنا أو فليعلموا أن الآثام التى نفترفها

(١) الأنوار فى السطر السابق مكسورة على الإقسام وفى هذا السطر منصوبة باعتبار أن الواو واو المعية.

(٢) مكان تطهير النفوس بعد الموت.

(٣) أمرين.

إنما هي رجع ما نتعلمه من آثامهم.

: طاب ليلك ومُسَيِّتٍ بخير وليمنحني الله أخلاقاً تعينني لا على استخراج الشر من الشر بل على استخراج صلاح لنفسي من حيث لا يكون صلاح.

ديدمونه

obeikanda.com

الفصل الخامس

المشهد الأول

فى قبرس - طريق

[يدخل ياجو وردريجو]

ياجو : ههنا... قف وراء هذا الطرف من الحائط. إنه لآت حالاً.. اسل نصلنك
الماضية وأعطه بها جوازاً لسكنى الآخرة... عجلًا عجلًا.. لا تخف شيئاً
أنا بجانبك. إننا بفعلتنا فائزان أو هالكان.. تذكر هذا وامكث متيناً فى
قصدك.

ردريجو : البث بقرب منى. أخشى أن يخو عزمى.

ياجو : ها أنذا على منالك. تشجع وقف متأهباً (ينتحي قليلاً)

ردريجو : لا أجد من نفسى دافعاً قوياً على ارتكاب هذا العمل إلا أن ياجو ذكر لى
أسباباً مقنعة. لقد قضى على الرجل تجرد من غمدك يا سيفى إنه لهالك.
(يقف متأهباً) .

ياجو : حككت له ذلك الجرب حتى هاج وتحكم. ليقتل كاسيو أو ليقتله كاسيو أو
ليتناحر كلاهما فالنتيجة أية كانت مفيدة لى. ذلك لأنه إذا بقى ردريجو
طالبنى بالحلى والمصوغات التى سللتها منه تباعاً بزعم أنها هدايا إلى
ديدمونه؛ وما ينبغى أن يستردها منى. وإذا بقى كاسيو عاش عيشة رغد
ومجد تكون بجانبها عيشتى حقيرة جداً. فضلاً عن أن المغربى قد يكشفه
فى أمرى، فأنا إذن فى خطر عظم ولا بد من قلته. صه صه. أسمع.

قادمًا (يدخل كاسيو)

ردريجو : عرفت خطاه.. هو بعينه - أنت مانت يا غادر يا أثيم.

(يهجم من مكمنه ويضرب كاسيو)

كاسيو : لولا متانة درعى لكنت هذه الضربة أعدى أعدائى. سارى الآن متانة
درعك

(يجرد سيفه ويضرب ردريجو فيجرحه)

ردريجو : آه قتلت!

(ههنا يهجم ياجو فيضرب كاسيو من وراء ضربة تصيب فخذيه ويتوارى)

كاسيو : كسرت ساقى وسأعيش أعرج، يا للناس، على القاتل على القاتل (يسقط)
(يدخل عطيل من مسافة)

عطيل : هذا صوت كاسيو لقد وُقئ ياجو بوعدة.

ردريجو : أواه ما أشقانى!

عطيل	: صدقت!
كاسيو	: المدد المدد أنيروا هاتوا آسيًا ^(١)
عطيل	: هو، أى ياجو الأمين الباسل الذى يقدر إهانة صديقه قدرها، إنك لتعلمنى ما يجب على. واعاهرتنا إن حبيبك لملقى صريعًا. وإن أجلك ليذنو... محوت من قلبى طلاس عينيك وسيضرح سريرك الذى شابه الفسق بشوائب من دم فاسق.
كاسيو	: يا أهل المدد ألا حرس هنا؟ ألا عابرى سبيل؟ يا للقتيل من القاتلين (يدخل لودفيكو وغراتيانو من مسافة)
غراتيانو	: هذا ولا ريب خطب جلل وصوت المستجير صوت رائع.
كاسيو	: المعونة.
لودفيكو	: أصغوا.
رديجو	: يا للشقى الغادر.
لودفيكو	: هنا اثنان أو ثلاثة يئنون والظلام حالك. من رأى ألا نتقدم من حيث تخرج هذه الأصوات إلا إذا جاء مدد جديد.
رديجو	: ألا يأتى أحد، إذن يسيل دمي حتى أموت.
لودفيكو	: اسمع.
غراتيانو	: هذا شخص يدعو عارياً ومعه نور وأسلحة.
	(يعود ياجو ومعه مصباح)
ياجو	: من هنا؟ من الذى يقلق السكون بصيحاته واستجاراته.
لودفيكو	: لا نعلم.
ياجو	: الم تسمعوا صراخًا؟
كاسيو	: إلى هنا إلى هنا أغيثونى بالله.
ياجو	: ماذا جرى؟
غراتيانو	: هذا ضابط عطيل إن لم أكن واهمًا.
لودفيكو	: هو بعينه ونعم الفتى الشجاع.
ياجو	: من أنت أيها المستصرخ بهذا الصوت المنكر؟
كاسيو	: أياجو؟ ضربنى. قتلنى أناس من اللصوص أغثنى.
ياجو	: أسفًا أيها الملازم من اللصوص الذين جنوا هذه الجناية؟

- كاسيو : أظن أن أحدهم بقربى وحالته لا تمكنه من الفرار.
- ياجو : يا للخونة الغدارين (سلفا لى لودفيكو وغراتيانو) وأنتما من تكونان... أقبلنا وامنحانا مددًا.
- رديجو : أعيثنى. أنا هنا.
- كاسيو : هذا أحد المعتدين على.
- ياجو : يا لك من شحاذ قاتل. يا لك من غدار (يطعن رديجو بخنجره)
- رديجو : أواه أيها الهالك ياجو أيها الكلب الوحشى.
- ياجو : يقتلون الناس فى الظلمات. أين أولئك اللصوص السفاكون للدماء؟! ما أسكت هذه المدينة..! قتيل قتيل، ترى من أنتما، أالخير أم للشر؟
- لودفيكو : احكم لنا أو علينا بما سترى
- ياجو : السنيور لودفيكو
- لودفيكو : هو نفسه.
- ياجو : ألتمس العفو - هذا كاسيو جرحه بعض المجرمين.
- غراتيانو : كاسيو؟
- ياجو : كيف حالك يا أخى؟
- كاسيو : بترت ساقى شطرين.
- ياجو : لا سمح الله. أنيروا لأضمد جرحه بقدة ^(١) من قميصي.
- (تدخل بينكا)
- بينكا : ماذا حدث. من كان يستصرخ؟
- ياجو : من كان يستصرخ؟
- بينكا : واحبيباه كاسيو واعزيزاه كاسيو كاسيو كاسيو.
- ياجو : يا لك من عاهرة فاجرة. كاسيو أتخمن من المعتدون عليك؟
- كاسيو : لا.
- غراتيانو : أنا حزين لرؤيتك هكذا وكنت قد خرجت للبحث عنك.
- ياجو : أعرنى ربطة ساق. وضعت. إلينا بكرسى نحمله عليه.
- بينكا : ويلاه أغمى عليه، كاسيو كاسيو كاسيو.
- ياجو : أيها السيدان أشتبه فى هذه المرأة الغادرة الواقفة هنا أنها شريكة للمجرمين.
- صبرًا قليلًا أى صديقى كاسيو. هلم بنا. أعيرونى مصباحًا. أتعرفان هذا

الوجه أم لا؟ ويلاه صديقي ومواطني العزيز رديجو. لا لا. بلى بلى. يقينًا هو... ويلاه رديجو.

- غراتيانو : البندقى.
- ياجو : هو نفسه أكنت تعرفه؟
- غراتيانو : حق المعرفة .
- ياجو : أأنت السنيور غراتيانو. عفوك يا سيدى فإن هذه الحوادث المشئومة هى التى شغلتنى عنك كما ترى.
- غراتيانو : مسرور بمشاهدتك.
- ياجو : كيف حالك الآن يا كاسيو؟ أسعفونا بكرسى...
- غراتيانو : رديجو
- ياجو : هو هو بعينه. واهًا. جاء الكرسى (يجلب كرسى) ليحمله أحد الحاضرين بعناية، وسأذهب لإحضار طبيب القائد (إلى بينكا) أما أنت يا بنت فأبقى على نفسك من التعب (إلى كاسيو) إن الذى يثوى هناك صريعًا كان صديقًا كريمًا على، أى خلاف قام بينكما؟
- كاسيو : لم يكن بيننا خلاف وكنت لا أعرفه.
- ياجو : (إلى بينكا) علام يمتنع هذا الوجه، رديه (يعنى كاسيو) من الهواء (يحمل رديجو وكاسيو) (تخلفوا أنتم أيها السادة. ما أشد اصفرارك يا بنت. أترون شرود عينيها. إذا كان الرعب قد استولى عليك فلتعلمن نبأه بعد حين. ارمقوها تفرسوا فيها انظروها... أنلمحون؟ أيها السادة ستظهر الجريمة ولو أصبح الكلام عادة مفقودة .
- (تدخل إميلييا)
- إميلييا : واحرياه! ماذا جرى أى زوجى ماذا جرى؟
- ياجو : اعتدى على كاسيو فى الظلام. هاجمه رديجو وآخرون فروا. فأما كاسيو فصرع وأما رديجو فتجنل.
- إميلييا : واحريا على كاسيو النبيل الكريم.
- ياجو : هذا جنى الفسوق. بحقك يا إميلييا إلا ما ذهبت حالاً تسألين كاسيو أين تعشى الليلة (إلى بينكا) أترجفين من هذا السؤال؟
- بينكا : تعشى فى منزلى ولا أرتجف البتة.
- ياجو : آه تعشى فى منزلك؟! أمرك باتباعى.
- إميلييا : قبحًا لك يا عاهرة.

بينكا

: لست بعاهرة ولكنى امرأة تعيش على هواها وعندى من العفة مثل ما عندك
يا شاتمتى.

إميليا

: مثل عفتى؟! أقبحًا وكذبًا؟!

ياجو

: هلم بنا سادتى الأعزاء نأس جراح كاسيو. تعالى أنت يا بنت ستقصين
علينا قصة أخرى. إميليا عدواً إلى القلعة وأخبرى مولاي ومولاتى بما
حدث. أنتفضلون بالمسير (منفرداً) هذه الليلة ليلتى فإما العمار وإما
الدمار.

المشهد الثانى

غرفة نوم فى القصر

[ديدمونه فى سريرها وإلى ناحية منها مصباح يضىء]

[يدخل عطيل]

عطيل : تلك هى العلة ^(١) يا نفسى. علة أعتذر إليك عن تسميها أيتها النجوم الطاهرة، ومع هذا لست عازماً على سفك دمها ولا على تمزيق بشرتها النقية كالثلج الصقيلة كمرمر القبر غير أن موتها متحتم وإلا خانت رجالاً آخرين. لنطفئ المصباح. وبعد... إن أطفأتك يا وزير النور ثم ندمت أعدتك إلى إضاعتك الأولى. ولكن متى أطفئ منك النور يا أبدع مثال من صنع الطبيعة الماهرة، فما أعلم أى ضرب من المذكيات ^(٢) التى يدخرها إله النار يستطيع أن يعيد إليك ذلك الرونق والبهاء. متى استوصلت وردتك النضيرة أصابها الذبول والجفاف لا محالة ولن أملك أن أرد عليها مقدرتها الحيوية. أريد أن أنتشقها فى منبتها (يقبلها) يا للعزف الطيب الذى يكاد يقق العدل بكسر سيفه. قبله ثانية ثم ثالثة. البشى هكذا حتى تموتى فأقتلك وأحبك بعدها. قبله أخرى وهى الأخيرة ما فى سوابق الدهر قبله أعذب ولا أنكى عقبى من هذه. يجب أن أذرف الدموع، ولكنها دموع جارحة هذه الألم سماوى وإنما يضرب حيث يحب.

(تستيقظ)

ديدمونه	: من هنا؟ عطيل.
عطيل	: نعم ديدمونه.
ديدمونه	: أتريد المجيء إلى السرير يا مولاي؟
عطيل	: هل صليت الليلة يا ديدمونه.
ديدمونه	: نعم يا سيدى.

(١) يريد بالعلة ضعف قوته الرجلية.

(٢) النيران.

- عطيل : إذا كنت تتذكرين لك ذنبًا مبقياً فرجة ^(١) بينك وبين رحمة الله فاستغفري حالاً.
- ديدمونه : ويلاه يا مولاي ما معنى هذه الكلمات؟
- عطيل : استغفري واختصري سأتمشي قليلاً ريثما تنتهين. لا أريد قتل نفسك وهي خاطئة، أباي الله. لا أريد قتل نفسك.
- ديدمونه : أتذكر القتل؟
- عطيل : إياه أذكر.
- ديدمونه : إذن لترحمني السماء.
- عطيل : آمين بكل جوارحي.
- ديدمونه : أرجو ألا تفعل وإن تكلمت هكذا.
- عطيل : هم هم.
- ديدمونه : ومع هذا الأمل أنا خائفة منك لأنك لا ترد متى كانت عيناك تدوران هكذا... لم أخاف وذنب لى.
- ما أدري.. ولكنى شاعرة بالخوف.
- عطيل : فكرى فى خطاياك.
- ديدمونه : لا إثم لى إلا هواك.
- عطيل : لهذا ستموتين.
- ديدمونه : ليس من المألوف قتل المحب من أجل حبه، ويلاه لم تعض هكذا على شفتك السفلى، أجد بك الهزة التى تهتزها حين سفك الدماء غير أننى أرجو ألا يكون تهديدها موجهاً إلى.
- عطيل : اهدئى وأصغى.
- ديدمونه : سأفعل... ماذا تريد؟
- عطيل : ذلك المنديل الذى كنت أحبه كثيراً وأعطينك إياه أنت أهديته إلى كاسيو!
- ديدمونه : لا وحياتى ونفسى... استدع هذا الرجل وليسأل.
- عطيل : احذرى يا حبيبتي احذرى من الحنث ^(٢) وأنت على سرير الموت.
- ديدمونه : نعم ولكن لا. لا أموت الآن.
- عطيل : بلى الآن. وأن تعترفى خير لك لأنك لو أنكرت كل جزء من أجزاء ذنبك

(١) مسافة.

(٢) الكذب فى اليمين.

وشفعت كل إنكار بقسم لما بددت قرة العقيدة التى أتألم منها. ستموتين.

- ديدمونه : إذن ليرحمنى الله
- عطيل : آمين.
- ديدمونه : ارحمنى أنت أيضاً. لم أسئ إليك قط فى حياتى ولم أحبب كاسيو بل وددته كما أباح الله الوداد المألوف ولم أهاده لعمرى بشىء ما.
- عطيل : لقد رأيت مندبلى فى يديه، ويحك من امرأة خائنة إنك لتغيرين قلبى إلى صخر وتحولين إلى مقتل ما كنت أعتقده قريباً رأيت المنديل بعينى.
- ديدمونه : لعله وجده ضائعاً أما أنا فلم أعطه إياه.. أرسل فى طلبه وليعترف بالحق.
- عطيل : قد اعترف.
- ديدمونه : ماذا تقول يا مولاي؟
- عطيل : إنه قضى منك مأرباً
- ديدمونه : مأرب سوء.
- عطيل : نعم.
- ديدمونه : لن يقول ذلك.
- عطيل : أجل لأن فمه أقفل وقد صدر أمرى إلى ياجو الوفى بما يجب.
- ديدمونه : إن خوفى قد أدرك معنى هذه الكلمات. أمات؟
- عطيل : لو أنت له أعمار عداد شعره لافترستها كلها.
- ديدمونه : ويلاه قد خانوه وأضاعونى.
- عطيل : اهلكى يا فاجرة أتبكيه بمشهد منى.
- ديدمونه : بحياتك يا سيدى الفنى ولكن لا تقتلنى.
- عطيل : اهلكى يا فاجرة.
- ديدمونه : اقتلنى غداً ودعنى أعيش الليلة.
- عطيل : إذا حاولت المقاومة...
- ديدمونه : نصف ساعة بلا مزيد.
- عطيل : لا تأخير.
- ديدمونه : ميقات ما أصلى.
- عطيل : لات ساعة صلاة^(١)
- إميليا (من الخارج) : مولاي مولاي!
- (يخنقها)

- عطيل : ما هذا الصوت. لم تمت تمامًا إنى لقاس ولكن رحيم، لا ينبغي إطالة عذابك. هكذا هكذا.
- إميليا : مولاي الكريم، كلمة واحدة!
- عطيل : نعم هي إميليا حالاً. ماتت. لعلها قادمة تخبرني بموت كاسيو. كانت الضوضاء شديدة. آه امتنع كل حراك. ساكنة كالقبر. أسمح بدخولها. أحسن. أظنها تتحرك. لا ما الأصلح. إذا دخلت حاولت بلا ريب مخاطبة امرأتى. امرأتى... أية امرأة. لا امرأة لى... يا للذكرى الفاجعة يا للساعة القاصمة.. يخيل إلى أن بالشمس والقمر محاقاً فظيماً فى هذه الساعة، وأن كرة الأرض ستتشق بين هذا الاختلاط.
- إميليا (من الخارج) : يا سيدى الكريم أستحلفك أن تسمح لى بكلمة.
- عطيل : كنت قد نسيت. ادخلى يا إميليا. تمهلى. حالاً لنسدل الأستار. أين أنت؟ (يفتح الباب) ماذا تلتهمسين فى مثل هذه الساعة؟
- إميليا : يا سيدى الكريم قد ارتكبت جناية منكرة.
- عطيل : متى؟ الآن؟
- إميليا : الساعة يا سيدى.
- عطيل : هذا ناتج من مخالقات القمر لأنه يقرب من الأرض أكثر مما يجب ويدخل الجنون على الناس.
- إميليا : كاسيو يا سيدى قتل شاباً بندقياً يدعى رديجو.
- عطيل : قتل رديجو وقتل كاسيو!
- إميليا : لا... كاسيو لم يقتل.
- عطيل : كاسيو لم يقتل إذن فالقتل يتغنى غلطاً والانتقام المطرب يشوش أنغامه.
- ديدمونه : آه قتلت خطأ. خطأ قتلت.
- إميليا : وبلاه ما هذا الصوت؟
- عطيل : أى صوت؟
- إميليا : صوت مولاتى. الغياث الغياث. أى سيدتى تكلمى مرة أخرى، أى ديدمونه الطاهرة، أى مولاتى الرقيقة تكلمى.
- ديدمونه : أموت بريئة!
- إميليا : ومن جنى هذه الجناية؟
- ديدمونه : لا أحد. أنا جنيتها أستودعك الله، انكرينى لدى مولاي الحبيب آه أستودعكم الله.
- (تموت)

- عطيل : ولكن كيف أميتت؟
- إميليا : من يعلم، يا للأسف.
- عطيل : أسمعت من فمها أنني لم أكن أنا الفاعل؟
- إميليا : هذا ما قالته وعلى أن أجيب بالحق.
- عطيل : ذهبت إلى جهنم المحرقة بما كانت تكذب، أنا الذى قتلتها.
- إميليا : أواه إنها بهذه الميتة لم تزدد إلا طهارة الملك الكريم كما أنك لم تزدد بجنايتك إلا سواد الشيطان الرجيم.
- عطيل : كانت عاهرة.
- إميليا : اتهمتها كذبًا ووشاية أنت إبليس.
- عطيل : كانت غشاشة الظاهر كالماء.
- إميليا : وأنت جسور كالنار بقولك إنها غشاشة. لهى عليها كانت أصدق من أبرار السماء.
- عطيل : كاسيو ضاجعها... اسألى زوجك عن ذلك ولولا هذا السبب الحق لما فعلت فعلتى إلا وأنا هالك إلى أدنى قاع جهنم.
- إميليا : زوجى؟! :
- عطيل : بعينه.
- إميليا : كان يعمل أنها غير متعفة لوليها؟
- عطيل : نعم... وأنها زنت مع كاسيو. على أنني لولا ذنبها هذا لو أبدلت منها بالعالم وقد جمع إلى جوهرة واحدة ما رضيت.
- إميليا : زوجى؟! :
- عطيل : نعم هو أول من أطلعنى على سرها وإنه لرجل صالح يكره الحمأة التى تعلق بالأعمال السيئة.
- إميليا : زوجى؟! :
- عطيل : ما معنى هذه الإعادات... قد قلت لك يا امرأة إنه زوجك.
- إميليا : يا مولاي إن الغدر قد قامر الغرام مقاومة خديعة... أزوجى الذى قال إنها فاسقة؟! :
- عطيل : هو نفسه يا امرأة. زوجك نفسه أفهمت؟ صديقى زوجك ياجو الوفى المخلص.
- إميليا : إن كانت هذه وشايته فليت نفسه الشريرة تتعفن كل يوم مرة. إنه كذب من صميم فؤاده وإنها كانت مجنونة حبًا بالبشع المخيف الذى اختارته بعلاً.

- عطيل : الله!
- إميليا : افعل كل فظيعة بعد الآن فإن نفسك لا تستحق النعيم بأكثر مما كنت تستحقها عروساً لك.
- عطيل : أولى لك السكوت.
- إميليا : ليس عندك من الاقتدار على الإيذاء نصف ما عندى من الجلد يا أيها المخدوع يا أيها الأبله. لقد ارتكبت جريمة... لا أخاف سيفك وسأكشف أمرك حتى لو كانت لى عشرون حياة وفقدتها. الغياث الغياث. المدد المدد. المغربى قتل مولاتى. على القاتل على القاتل.
- (يدخل منتانو وغرانيانو وياجو)
- منتانو : ماذا جرى أيها القائد ؟
- إميليا : أنت يا ياجو حضرت . لا جرم انك احكمت سيرك فجعلت الناس يلقون عليك تبعات آثامهم .
- غرانيانو : ماذا جرى ؟
- إميليا : كذب هذا المجرم إن كنت رجلاً. يقال إنك وشيت عنده فى امرأته وأعلم أنك لم تفعل ولست ذلك الأثيم....
- تكلم لأن قلبى فائض بما فيه.
- ياجو : قلت له ما كنت أعتقد ولم أزد على ما تحقق بنفسه.
- إميليا : ولكن أذكرت له مرة أنها غير مستقيمة.
- ياجو : نعم.
- إميليا : كذبت على الله وعليه كذباً قبيحاً مهلكاً للنفس.
- أهى اقترفت إثمًا مع كاسيو. أقلت مع كاسيو؟
- ياجو : مع كاسيو يا قوادة، اقطعى هذا اللسان.
- إميليا : لا اقطعه وسيدنى هنا مقتولة فى سريرها.
- الجميع : معاذ الله.
- إميليا : ولم يرتكب هذا الجرم إلا بناء على سعاياتك.
- عطيل : لا تدهشوا يا سادة هذا هو الحق.
- غرانيانو : أمر غريب.
- منتانو : عمل فظيع.
- إميليا : مكيدة مكيدة مكيدة. شعرت بها من قبل وما صدقت.
- يا للمكيدة يا للمكيدة سأموت غمًا.

- ياجو : أنت مجنونة عودي إلى البيت.
- إميليا : يا سادتي ائذنونى بالكلام، يجب أن أطيعه أما الآن فلا ولعلى لن أعود أبداً يا ياجو.
- عطيل : (يسقط على السرير) آه آه آه.
- إميليا : نعم تقلب واجأر لأنك قتلت أظهر وأرق بريئة رفعت عينيها إلى السماء.
- عطيل (ناهضاً) : بل كانت زانية -لم أعرفك قبلاً أيها العم. هنا كريمة أخيك مضطجعة وهاتان هما اليدان اللتان أخدمتا أنفاسها وأن هذا العمل أعمل فظيع شديدة القسوة.
- غراتيانو : يا لها من مسكينة. أحمد الله أن أباه سبقتها من فرط الحزن الذى مزق نسيج حياته ولو كان الآن حياً لدفعه هذا المصاب إلى عمل هائل من أعمال اليأس يطرد به ملك الرحمة من جنبه ويستنزل عليه لعنة ربه.
- عطيل : هذا مخزن فى الغاية ولكن ياجو يعلم أنها ضاجعت كاسيو ألف مرة وكاسيو اعترف بذلك وقد كافأته على أعماله الغرامية بأن أعطته ما أهديته إليها فى أوائل أيام الحب بيننا دليلاً على شغفى بها وإخلاصى لها، ثم إننى رأيت هديتى فى يده وهى منديل كان أبى قد أهده إلى والدتى.
- إميليا : يا إله السماء!
- ياجو : اخرسى.
- إميليا : لابد من إظهار الحقيقة أأسكت أيها السادة، لا لا، سأتكلم بطلاقة ربح الشمال السماء والناس والزبانية كلهم كلهم يصيحون بالعار على إذا لم أتكلم.
- ياجو : تعقلى وارجعى إلى البيت
- إميليا : كلا. (يهجم ياجو عليها ليضربها بخنجره)
- غراتيانو : عيب رفع السلاح على امرأة.
- إميليا : يا أيها المغربى البليد، المنديل الذى تذكره وجدته أنا بالمصادفة وأعطيته لزوجى لأنه كان كثيراً ما يلح على بسرقة وكنت أتعجب من شدة اهتمامه بتافهة كهذه.
- ياجو : يا للمومس الجانية!
- إميليا : أعطته لكاسيو - كلا - واحسرتاه أنا التى وجدته ضائعاً وأعطيته زوجى.
- ياجو : تكذابين يا قذرة (يطعنها ويهرب)
- إميليا : بالله العظيم لا أكذب يا سادتى (إلى عطيل) ويحك من قاتل أبله ما كان

- لأحمق مثلك أن يعايش حوراء كهذه.
- عطيل : أليس فى السماء حجارة غير التى تستخدم للصواعق، يا للمجرم الذى يفوق دهاؤه كل تصور.
- غراتيانو : هذه المرأة تميد. سقطت. قتلها ولاشك .
- إميليا : نعم انقلونى إلى جوار سيدتى.
- غراتيانو : لقد هرب.
- منتانو : هو مجرم بلا مرأ - خذوا هذا السلاح الذى نزعته من المغربى واذهبوا لحراسة الباب الخارجى ولا تدعوه يجتاز أو تقتلوه أما أنا فسألق بذلك المجرم. إنه لعبد هالك النفس. (يخرج)
- إميليا : علام كانت تدل أنشودتك يا سيدة أصغى. أسامعه. سأموت متغنية، الصفصافة الصفصافة الصفصافة ، أيها المغربى كانت طاهرة. كانت تحبك أيها القاسى. ليت نفسى تتجو بمثل ما أقول الحق وأصرح عما فى ضميرى، أموت أموت (تموت)
- عطيل : عندى سيف آخر فى هذه الغرفة. سيف إسبانى ماض مجوهر ها هو ذا - يا عمّ يجب أن أخرج .
- غراتيانو : إذا حاولت الخروج جازفت فى عمرك، لست مسلحاً وقد تقع على ما تكره.
- عطيل : إذن ارجع وتعال كلمنى وإلا هجمت عليك مع كونى أعزل (يدخل غراتيانو)
- غراتيانو : ما تروم؟
- عطيل : انظر، معى حسام مما لم ينقلد مثله جندى ولقد شهدت زمناً كنت فيه بهذه الذراع الصغيرة وهذا السيف الوفى افتتح لى طريقاً بين عقبات تربو عشرين مرة على ما تتصور. ولكن يا للفخر الباطل! من الذى يخالف المقدور عليه. الآن أنا غير ما كنت فلا تخف ولو رأيتنى مسلحاً. هذا محط رحالى ومربط شراعى وغاية سفرى - أنتراجع من الرعب - رعبك لا طائل تحته. وجه خيزرانة إلى صدر عطيل وهو الذى يتراجع. إلى أين يستطيع عطيل أن ذهب الآن - أرينى كيف وجهك فى هذه الساعة؟! يا للمرأة التى ولدت تحت طالع منحوس. إنك لصفراء بلون قميصك فإذا التقينا لدى محكمة الله فرويتك على هذه الصفة تكفى لإسقاط روحى من السماء فيلنقطها الزبانية - هادمة يا بنى، قريرة كطهارة نفسك. ويل للشحاذ اللعين. أيها الشياطين اطرودونى ضرباً بالسياط من أمام هذا النور السماوى واقدفوا بى ألقاب

وأندهور بين العواصف بلا استقرار، أغلوني فى النفط، دحرجوني إلى أعماق بعيدة من النار السائلة. أى ديدمونه لقد مت مت آه آه.
(يدخل لودفيكو وياجو وكاسيو)

- لودفيكو : أين ذلك الشقى المختبل؟
عطيل : الذى كان عطيلًا؟ هأنذا...
لودفيكو : أين ذلك الثعبان؟ هاتوا ذلك المجرم..
عطيل : أقرس فى رجليه! هذه أعجوبة من خرافات الأولين. إذا كنت شيطانًا فلن أستطيع قتلك.
لودفيكو : انزعوا منه سيفه.
ياجو : جرحت يا سيدى ولكن لم أمت.
عطيل : أريد أن تعيش لأن الموت سعادة.
لودفيكو : أى عطيل الذى كنت عنوان الفضائل واستسلمت لمكايد هذا الشحاذ الهالك بأى اسم ستسمى؟
عطيل : ليسمونى كما يشاعون إن أنا إلا قاتل شريف لأننى لم أفعل فعلى عن حقد بل دفاعًا عن الشرف.
لودفيكو : هذا الحقير اللئيم اعترف بجزء من جريمته. أكنت متواطئًا معه على قتل كاسيو؟
عطيل : نعم.
كاسيو : يا قائدى العزيز لم أفعل قط ما يسوءك.
عطيل : أنت صادق وألتمس منك الصفح. أتريد أن تتفضل وتسال هذا النصف الشيطان لماذا سحر عقلى وجسمى كما فعل؟
ياجو : لا تسألونى شيئًا فقد علمتم ما علمتموه وبعد هذه اللحظة لن أنبس بكلمة.
لودفيكو : حتى ولا للصلاة!
غراتيانو : إن التعذيب سيفض فاك.
عطيل : هذا هو العمل الصالح المفيد.
لودفيكو : أيها السيد يجب أن تعلم من بقية المسألة ما لم تزل تجهله فيما أظن. هذا كتاب وجد فى جيب رديجو الذى قتل وهذا آخر ومن أحدهما يؤخذ أن مقتل كاسيو كان منوطًا برديجو.
عطيل : يا للمجرم!!
كاسيو : يا للعمل الشنيع الذى لا يعملهُ إلا وثى .

لودفيكو

: وهذا كتاب آخر وجد فى جيبه كان فى عزم رديجو على ما يظهر أن يرسله إلى هذا الأثيم الهالك غير أن ياجو لقيه قبل إرساله وتمكن من تهديته خاطره.

عطيل

: وحيك أيها الشقى المؤذى - كيف وجد بيدك ذلك المندبل الذى كان لامراتى يا كاسيو!؟

كاسيو

: وجدته فى غرفتى واعترف هو نفسه منذ هنيهة أنه كان ألقاه بيده فيها لقصد ما.

عطيل

: يا مجنون يا مجنون يا مجنون.

كاسيو

: ويظهر علاوة على ما ظهر من كتاب رديجو أن ياجو هو الذى كان باعثة على التحرش بى فى ليلة الحرس. ومن هذه الحادثة نجم عزلى. ثم ظهر أيضاً منذ قليل بإقرار من نفس رديجو الذى تكلم بعد أن ظن ميئاً أن ياجو هو الذى دفعه إلى قتلى وياجو الذى ضربه بخنجره ليجهز عليه.

لودفيكو

: يجب عليك ترك هذه الغرفة واللحاق بنا فقد استرددت منك إمارة الجند وحكومة قبرس وقلدها كاسيو مكانك. أما هذا المجرم المتقن فمهما نجد من ضروب التعذيب لإيلامه أبعد ما يكون أجلاً فهو ما سنعذبه به وأما أنت فتبقى سجيناً إلى أن يعلم أمرك فى البندقية. هلموا اقتادوه

عطيل

: رويدكم أقل كلمة أو كلمتين. لقد خدمت البلاد بعض الخدم ويعرفونها فلا أطيل عن هذا القدر فى هذا المعنى. ولكن أرغب إليكم حينما تقصون قصتى فى رسائلكم أن تذكرونى بحقيقتى لا بمزید ولا بنقصان وألا تدخلوا فيها شيئاً من المكر السيئ فإذا فعلتم ذلك وصفتم حال رجل لم يعشق بتعقل ولكنه كان خالص السريرة متجاوز الحد فى حبه، رجل دافع الغيرة عن نفسه جهده فلما تمكنت منه تمادى فيها إلى النهاية، رجل غلب الأسى عينيه على أنهما لم يكن من شيمتهما البكاء فذرفتاً من الدموع أغرر ما تتضجه أشجار جزيرة العرب من صمغها الشافى. هكذا أرجو أن تصفونى وأضيفوا إلى ما تقدم أننى عندما كنت فى حلب وأهان أحد الأعداء رجلاً من البندقية وثبت به وجعلت يدي فى عنقه وضربتته.. هكذا..

(يضرب نفسه)

لودفيكو

: يا للختام الرائع.

غراتيانو

: قد تلاشى كل ما كنا فى تدبيره.

عطيل

: (زاحفاً نحو سرير ديدمونه) لقد قبلتك قبل مماتك والآن لم يبق لى إلا أن

أموت فى قبلة.

كاسيو : كنت أخشى هذه النهاية لكننى لم أظن أن معه سيفاً... قضى وكان قلبه كسيراً.

لودفيكو : أين كلب إسبرطة. يا أقسى من الألم والجوع والبحر. انظر هذه الجثث الطاهرة المتراكمة على هذا السرير. هذا عملك. منظر ينفث نافع السم فى الأبصار فألقوا عليه غطاء - أى غراتيانو احرس البيت وتسلم تركة المغربى فهى إليك - وأنت أيها السيد الوالى تحكم فى عقاب هذا المجرم الجهنمى بما تشاء. اضرب لذلك أجلاً وعين مكاناً واختر آلات التعذيب ثم عذبه. بمنتهى الشدة وبلا رحمة سأبحر من فورى عائداً إلى البندقية حاملاً إلى القوم بقلب حزين خبر هذه الحادثة الفاجعة.

(تمت الرواية)

فهرس

٩ الفصل الأول

٢٩ الفصل الثاني

٤٨ الفصل الثالث

٧١ الفصل الرابع

٩٢ الفصل الخامس

رقم الإيداع ٢٠٠٠/١٦٣٧٨

التزقيم الدولي 977-02-6078-9 ISBN

١/٢٠٠٠/٩٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)